٣١٥

روايات أحلام

درب العشاق

WWW.REWITY.COM
مرمورية

ذهب كلاين إلى بيته.. وغداً ستوضب فيلوميل حقائبها. ولن تعلم أبداً ما الذى غير تشارلز.ولا كيف أحست فجأة إنه رجل عظيم. تأثرت كثيراً عندما قال لها إنه سيتخلى عن الحياة الدنيوية.وسيسافر على الفور. وهو سيحررها من التزامها الزوجى معه حتى تتابع حياتها.و رجته أن يبقى... ولكنه مد يده وهى ترتجف بحدة.

لا ..لا تفعلى هذا .. لا تترجينى .

وتلاشى الضباب من فوق الحقول . وأخذت النجوم تغمز بعينيها فى كبد السماء . إنها ليلة جميلة .. سوف تترك القرية وخاصة أن تفترق عن العجوز آدم العزيز .

ووقفت تحدق فى الحقول والوديان . ثم أحست بالإرتياح يغمرها .. وراودتها فكرة .. فقالت لنفسها :

(لو أن المولود كان صبياً فسأسميه آدم) .

البحرين ١ دينار	الكويت ٧٥٠ فلس
مصر ٥ جنيهات	الإمارات ١٠ دراهم
المغرب ١٥ درهم	قطر ١٠ ريال
تونس ٢ دينار	ليبيا ٣ دينار
سلطنة عمان ١ ريال	سوريا ٧٥ ل . س
السعودية ١٠ ريال	لبنان ٣٥٠٠ ل . س
	الأردن ١٫٥٠ دينار

5 204760 000392

أول حب

تقدم آدم من البوابة، ينظر الى أسفل الطريق ليرى ما يحدث هناك. كان مساء من زمن الحصاد، سوف يستخدمون آخر شعاع من الضوء النهار على أمل الأنتهاء من الحقل الكبير قبل حلول الظلام.

الحصاد اليوم، يختلف عما كان، وأصاب آدم الحنين الى الماضى. لم يعد يسمع وقع حوافر الجياد العائدة من الطريق، وأصوات اطارات العربة التى تحتاج الى الزيت، والمدهونة بالأحمر القانى و الأصفر الفاقع، واسم المزارع عليها، ورائحة الحصاد ملتصقة بخشبها.. لا شئ يبقى كما هو.. لقد كان المنظر أفضل فى أيامه الغابرة بطرق كثيرة. مع أن الفقر كان قاسيا، وغالبا ما بات ليلته وهو جائع.. القرش كان شددة له فى تلك الأيام واليوم يضحك الأطفال لسماعهم أسم القروش كل شئ تغير.. ولكن

الذرة لا تزال مليئة برائحة حلوة رطبة، وشجيرات السياج فى أيلول لا تزال تظهر بعض التوت الأحمر القاتم، وأوراق الخنشار البرونزية.

عيناه القويتان، ولو خف نظرهما قليلا، تطلعتا الى التلال فى البعيد، حيث شاهد أن الريح لم تتغير، وهذا أمر جيد ليوم جيد فى الغد، ولحصاد جيد.

واستدار عن البوابة ليعود الى منزله الصغير الشبيه بالكوخ وهو تعب قليلا. منذ عشر سنوات اشترى هذا المنزل. وكم كان فخورا أن يشترى (الكوخ) الذى ولد فيه!

لقد كانت ضربة حظ موفقه، أن يموت المحترم العجوز فى اللحظة المناسبة، ويعرض الكوخ للبيع فى الوقت الذى كان آدم قادراً على شراءه. ولقد أنشأ فيه حمام مناسب.. وموقد جيد للطبخ الخلفى، بدل ذلك الموقد الحديدى القديم الصدئ الذى كانت أمه تستخدمه... لقد تغيرت الأشياء، وضحك لنفسه.

ودخل رأسا الى الغرفة، وجلس فى كرسى مريح ورفع رجليه على مسند خشبى... للقد أصبحت الحياة أفضل فى كثير من الطرق، وحمدا لله على هذا! ولم يجاهر بهذا القول، لأن الرجل الحكيم يبقى أفكاره لنفسه.

قسمات وجهه كانت بارزة، وعيناه الزرقاوان الشاحبتان غارقتان فى شبكة من الخطوط حولهما، حاجباه أبيضان وسميكان.. وكان شعره كثيفا لأبن الثمانين، ولا يزال وجهه وسيما... ويمكن أن يخطئ المرء بتقدير عمره للخامسة والستين.

ونظر عبر الستائر الجديدة التى صنعتها ابنته جوان فى الأسبوع الماضى. وأخذ يفكر.. ربما أحاط الزمن تلك السنوات بهالة من ذهب ولم تكن جيدة بالمرة. وتذكر ذراعا أمه الناعمتان تلتفان حوله، والراحة التى كان يحسها على صدرها، والشعور بالأمان، ومعرفة أنه يوما ما كان يتقوى من هذا الصدر، وحبه الكبير لها.

التفكير فى الماضى ليس جيداً، لن يفيد بشئ.

وسمع صوت فتاة تسير على الطريق.. انهم يدعون هذه الطريق (بالشارع) مع انها بعيدة عن هذه التسميه.. صف من المنازل الريفيه تحد الطريق بحدائقها الجميلة. ومن خلفها الممر. منذ اثنى عشر سنة كان لهذا الممر منعطف.. ولكنه اختفى الآن.

الفتاة كانت ليديا، حفيدته، ابنه هارى.. انهم يسمون الأولاد أسماء مضحكة هذه الأيام.. كان يتوقع قدوم ليديا

فى وقت أبكر، وهى تعمل فى مكتب فى البلدة القريبة، تروح وتجئ على الدراجة. وكانت تشبه السيدة الأنيقة، ما عدا أن السيدات لا يعملن. وكرهت ليديا أى عمل يوسخ يديها الجميلتين، وكانت تكسب جيدا من عملها.. وتصرفه حال أن تقبضه. فى هذه الأيام لا أحد يقصد. وفكر آدم العجوز بدفتر توفيره الذى اشترى لهم هذا المنزل. هناك أمل كبير بدفتر التوفير أكثر مما ينظر اليه شبان هذه الأيام.

لقد بلغت ليديا الآن السابعة عشرة من عمرها. وتضع الكثير من الدهون المضحكة على وجهها، يكرها آدم بالطبع.. وكانت تثير اعجاب الشبان، انهم كما كانوا تماما، وسيبقون هكذا حتى بعد أن يموت. وأدرك آدم أن ليديا لن تدخل المنزل كما يجب عليها أن تفعل، فقد سمع رجلا قريبا منها، ينحدث اليها... انه هيوغ بارتون.

هيوغ كان ابن رجل ثرى، وصل الى القرية ليرى اذا كان يريد أن يصبح مزارعاً. والداه كانا يدفعان أجره جيداً فى (المزرعة الحمراء) التى يملكها السيد جونسون. ولم يكن أحد، فى سره، يعتقد أنه قد ينجح فى هذا العمل. كان فتى جامعيا، ويقولون أنه ناجح فى دروسه. وهذا امر مهم جدا هذه الأيام، مع انه لا يعنى الكثير

لآدم العجوز.

هذه الأيام يحب الصغار المدارس، وهذا امر لم يستطع فهمه. كان قد ذهب الى المدرسة فى سن الخامسة وتركها فى سن الحادية عشر. حامدا الله على ذلك. وتذكر غرفة المدرسة الضيقة، وتلك الخرائط السخيفة على جدرانها، وذلك اللوح الأسود الوحشى، وتلك الجمل الصعبة المكتوبة فوقه والتى كان يكرهها.. كل ما تعلمه تلك الأيام كان القراءة و الكتابة والعد على أصابعه، وكان هذا يكفى لأجل دفتر التوفير الصغير عندما حصل عليه. ما كان يقرأه يقتصر على اخبار العالم فى صحيفة الأحد. وكتابته مقصورة على توقيع دفتر تقاعده صباح كل يوم اثنين.

ورأى آدم أن ليديا توقفت قرب الباب تحت شجرة صنوبر الطقسوس الضخمة القديمة. كان يريد دوما أن يقص هذه الشجرة السخيفة، فهى تسمم الأرض من حولها، ولا شئ سينمو هناك طالما هى موجودة.. ولكن، جدته هى التى زرعتها عندما وصلوا لأول مرة الى القرية من الطرف الآخر للنهر. ووالدته كانت فخورة بها، ولا يستطيع أن ينسى هذا. والشجرة هذه تعطى ظلالا لطيفة

فى مساء حار مثل هذا اليوم، وفى منتصف النهار كان ظلالها يحمى من الطقس الحار الخانق، وهذا أفضل شئ فى الصيف.

وشاهد الشابين يقفان هناك.

هيوغ كان يضع يده على ذراع ليديا العارية، فمعظم الفتيات لا يرتدين ثيابا بأكمام هذه الأيام، ويبقى اللحم الطرى الداف‌ء عرضة للمس. وهو يعرف كيف تغير هذه اللمسة الرجل، وقد يكون عجوزا، ولكنه رجل خبير. وشاهد النظرة المتفحصة فى عينى هيوغ. وكان يسأل ليديا شيئا، واذا كان يسألها عما يفكر به آدم العجوز، فستكون غبية لو قبلت.

وأخفضت عينها، وكأنها خجلة، وجدها يعرف بأنها ليست كذلك. كان هناك شئ مريب فى تصرفات هذا الشاب وهو يحتها ثانية... وكانت ليديا تبدو مضطربة... ومن لا يكون مضطربا وهو يلعب بالنار؟

وقالت: (لا أستطيع) وسمعها جدها هذه المرة.

وتحدث هيوغ بصوت منخفض، ربما لأنه يعلم أن للجدران آذان، ان لديه الكثير ليخفيه. ولف ذراعه حولها

حتى أن حرارة جسده لامست حرارة جسدها. وضمها أكثر ووضع خده على خدها. ونظرت ليديا بسرعة الى الخلف نحو المنزل، وكأنها خائفة من أن أحدا يراقبهما، ولكن آدم كان يعلم ما تقصده.

هيوغ يرغب فيها، وآدم عرف هذا. لأن الفتاة احمر وجهها، وارتجفت قليلا، ولم تكن واثقة من موقفها، فهى غير معتادة على الحب العملى كما يطلبه منها. نصف تفكيرها يريد اعطاء هذا الشاب ما يريد، ومع ذلك فالنصف الآخر خائف من النتائج. لقد كانت خائفة من تزمت أفكار القرية ومن الشائعات، والروتين السائد الذى يحرم أى استجابة للمطالب الآنية لقلبها.

آدم العجوز كان سيصيح بهما موبخا من النافذة لو انه فى الخامسة والأربعين..

ولكن الرجل فى الثمانين لا يصيح هكذا من النوافذ. فلقد تعلم أن هذا أمر غير لائق. فلو منع ما يجرى الآن، لعاد الى البروز مرة ثانية. لا شئ يمكن أن يوقف مسيرة هذا العالم عندما تبدأ، وعلى كل الأحوال، هذه معركة ليديا وليست معركته.

ورفعت يديها الجميلتين الصغيرتين، اللتان تداوم على

دهنهما بطلاء الأظافر و التى يكرهها آدم. وقالت بصوت مرتفع:

هيوغ؟ من الواضح انه كان يطلب منها شيئا. وكان ضوء النهار لا يزال موجوداً، ولكن فى القريب سوف يتلاشى، وسيبدأ الضباب يتصاعد من التلال. والضباب لا يتواجد هناك خلال ايار وحزيران، بل انه يبدأ فى أواسط تموز، ويتزايد مع قدوم الخريف، ليلقى ستراً ناعما هو جنة للعشاق. وكان العجوز يعلم انهما سوف يذهبان بخطى سريعة الى درب العشاق، التى تلتف عند نهاية الطريق.. وهذه الطريق لم تكن سوى فسحة خضراء معشوشبة عندما كان صبيا، ولكنها الآن طريق حقيقية. ويستطيع الفتى والفتاة الجلوس هناك ليشاهدا النجوم و يستطيع آدم أن يجزم أن كل العشاق مروا بهذا المكان فى وقت ما. البعض ندم والبعض يتذكر بأنها كانت أجمل ليلة مرت فى حياته.

وهو بنفسه ذهب الى هناك مع أديث.

ولكن، نسل آدم يجب أن يفكر قبل كل شئ بالزواج. لأن ما من شراكة يمكن أن تدوم دون بركة الزواج. ودون تلك البركة لا شئ فى محله. مع انه فى هذه الأيام العصرية لا يفكر الكثيرون بهذا. ومع ذلك فموثق الزواج

الجديد، السيد لويس، رجل جدير بالأحترام ليستلم مثل هذه المسؤوليه. ولقد أحب آدم السيدة لويس الصغيرة الجسم، ففيها شئ يتميز عن مثيلاتها.

هذه الأيام يهجم الشبان على الحب، بطريقة لم يفعلها جيله أبداً. والفتيات لا يمانعن فى أن يحملن حتى... ولا يهتمين بما يحدث للطفل المسكين دون أب.. انه زمن كل شئ فيه مسموح ولم يكن آدم ليظن أن هذا أمر لائق أو صحيح. انه يفضل أحكام الموت القديمة، والدينونة، والجحيم..

وشاهد ليديا الشابة تنتزع نفسها من قبضة هيوغ بحركة حادة. مما بدا انها خائفة. وقالت بسرعة:

- حسنا.. حسنا.. سأكون هناك، ولكننى لا أستطيع البقاء معك الآن، فقد يرانا جدى. وأنت تعلم كم انه عجوز متزمت!

واستدارت نحو المنزل وسمعها آدم تركض قرب الحائط عبر الممر، ثم الى الباب الخلفى.

وترك النافذة ليذهب الى لقاءها عند الباب. ووقف يحدق فيها. كان هناك أثر على بشرة رقبتها حيث كان هيوغ يقبلها، وكأنها الوشم. ولم تكن تدرى أن هذا ظاهر على رقبتها. النساء فى أيامه كن يخفين مثل هذا الأثر

بسرعة، وبخجل.. ولكن.. اوه .. لا.. ليس فى هذه الأيام! فلم تعد الأمور التى كانت تهم.. تهم الآن.

هل أحضرت لى الفطيرة التى طلبتها منك؟

اجل.. ثمنها أربع بنسات.

اربع بنسات ثمن مرتفع لفطيرة.

لقد ارتفع سعرها.. كل شئ ارتفع سعره!حتى تلك البلوزة التى كنت أريدشراءها من محل (هود جونس).

لم يعرف انها تريد بلوزة جديدة، فلديها الكثير من الثياب ولا يمكن أن يصدق انها تريد المزيد.. والدته كانت ترتدى الثوب لثلاث سنوات. أديث، زوجته كانت مقتصدة فى الملابس أيضا، وكذلك ابنته جوان. وأعطاها المال.. فأخذته منه حتى دون أن تقول شكراً، وخرجت كالبرق، وتبعها الى الفناء وهو يصيح.

ليديا؟

وماذا تريد الآن؟

ليديا.. لا تذهبى! لا تذهبى يا فتاتى، ليس من الحكمة أن تذهبى! الضباب قادم والعشب سوف يصبح مبللا، وهذه ليست ليلة مناسبة لدرب العشاق.

وحدقت به ليديا غير مصدقة.. مع شئ من الأمتعاض، ثم قالت له كلمة يعتبرها هو شتيمة، ولكن الجميع الآن يستخدم مثل هذه الكلمات، حتى الفتيات، ولايجرؤ أحد أن يرد بكلمة واحدة. وهذا مثير للمزيد من الأسى!

وراقبها وهى تبتعد، ثم عاد ليأكل الفطيرة.

كان يعيش وحيدا فى كوخه، ويحب الحياة هكذا. ابنه هارى متزوج ويعيش على بعد أربعة منازل منه، زوجة هارى كانت تأتى لتخدمه. ابنته جوان تصادقت مع السيدة هاوكنز و تلازمها فى مزرعتها البعيدة عن الطريق، وكان يظن أن من الغريب ان تتعلق امرأتان ببعضهما هكذا، ولكن يبدو أن السيد هاوكنز لا يمانع.. وجوان سعيدة هناك أكثر مما كانت سعيدة هنا. وهو شاب كان يؤمن أن مكان الابنة هو مع والدها، وخاصة اذا كان أرمل. واذا كانت تحب السيدة هاوكنز، فلا بأس، أما هو فلن يحبها أبداً، فهو يكره صنفها المسترجل، بجسدها العريض والتنانير الضيقة وأحيانا البنطلون. ولم يكن جسدها يناسب ارتداء البنطلون، ولم يحب أبداً الصوت الأجش فى النساء، ولكن جوان أحبتها منذ البداية. أما هو.. فقد وصل الى تلك المياه الهادئة التى

لايمكن له فيها سوى انتظار النداء...

مجرد الأنتظار للنداء...

وأنهى شرب الشاى، ثم خرج من البوابة الى الشارع، وكان العمال يخرجون الحصادة الكبيرة من البوابة المقابلة. وسمع أصوات الرجال وعلم انهم متعبون. ولكن ممتنين فى نفس الوقت أن عملهم قد انتهى قبل حلول الظلام. وأحس بصلة ما بين الطفوله والكهولة.. ومهما ظن الناس، الطفل لا زال فى نفسية الكهل. ولم يعد فى هذه الأيام يعمل لدى السيدة كروس، بل كان يقسم وقته بين عائلة بينيت ومنزل القسيس، فباستطاعته اختار رب عمله على هذه.

وكان يأتى الى بيت القسيس ليقوم بعمل الأشياء الغريبة المتنوعة للسيد والسيدة لويس، التى غالبا ما كانت تدفع له من مصروفها الخاص، لا شئ كثير، وانما كالهدية بين الأصدقاء. وللسيدة لويس اسم غريب (فيلوميل) وكان آدم يحب هذا الأسم، كما يحب كروان الليل وهو يغنى فى الوديان فى شهر نيسان. ودخل الى الأسطبل حيث كان الحطب مكدس بانتظار تقطيعه. ووقف يتساءل عما تفعله ليديا الآن، وما اذا كانت قد

ذهبت الى درب العشاق، ولكن بالطبع ستذهب، لأن العشاق يذهبون دائما الى هناك. وتساءل عن النوع من الشبان الذى يكونه هيوغ بارتون. لا بد أنه من النوع المستعجل، فكل الشبان هكذا هذه الأيام، ويتوقعون أن يحصلوا على الأرض كلها مكافئة لهم. وابتسم لنفسه. لقد أوصلته الحياة الى فلسفتها المتفهمة، وأدرك ان كل الشبان يجب ان يشقوا طريقهم بأنفسهم. وكل انسان يجب أن يواجه مخاطر الحياة، وأحيانا نيام المرء معها، وأحيانا ينجو البعض من عقوبات الحياة الأقسى، وكم تمنى أن تنجوا هذه الصغيرة السخيفة ليديا.

وفجأة أحس برائحة الحطب الرطب تعبق فى المكان، وأخذ يفكر بشابه وبالفتاة أيمى كينغزتون أول حب له، وكان هذا قبل وقت طويل من حبه لأديث، أو من تفكيره بالزواج.

وتلك الليلة، كان درب العشاق ولا أحلى، وايمى كنيغزتون بين ذراعيه فوق العشب الندى. لقد كانت الفتاة حارة و متشوقة، وكان آدم يحبها. وعض على زاوية شفته، عندما يكون الأنسان غارقا فى الحب لا يعود أى شئ آخر يهم. وتمنى للصغيرة ليديا تكل السعادة.

أحلام ضائعه

أظن اننى سمعت آدم يعمل فى قطع الحطب.. .

هكذا قالت فيلوميل لزوجها وهى تجلس أمام نولها، ولم تكن تعمل فيه حادة، بل ليلهيها عما تفكر به. وكان زوجها رجل شديد النحول، وحفرتين كبيرتين على جوانب فمه، وبشرته متجعدة بعمق، وعينان سوداوان.. وقطع قراءته وأجاب:

أنت تتخيلين الأشياء يا فيل.. تسمعين أصواتا غير موجودة. أنا لا أسمع شيئا.

هناك شخص يقطع الحطب، ولا بد أنه آدم، سأذهب لأتأكد.

وخرجت من غرفة الجلوس ومرت عبر غرفة الطعام، ثم الى خلف المنزل. بالنسبة لها بيت القسيس هذا كان منزلا

قديما وله بعض الأشباح الخاصة به.. شبح راقصة بالية، شبح حبيب ضائع، شبح مقطوع الأصابع كان يمسك أحيانا بطرف ثوبها، وصوت غريب مخيف، يصدر عندما تهب الريح وكأنه مقبل من ناحية معينة، يدعوها باسمها. وما أن فتحت الباب الخلفى حتى سمعت صوت التحطيب بوضوح أكثر. وعلمت قطعا أن آدم هناك... وأحست فيلوميل بالأشتياق للمغامرة.. وخافت من نفسها.

آدم هنا.. وفتحت حقيبتها لتخرج قطعة نقدية له. سوف ندفع له اليوم. سيوفر هذا على تشارلز. وليلة أمس لم يكن لديها مال، فلطالما تركها زوجها مقطوعة. وبدا شعرها أكثر شقارا فى ضوء المطبخ، فالشمس كانت لا تزال ترسل آخر أشعتها، وتحولت عيناها الى البنى الفاتح. فى يوم من الأيام أرادت أن تكون راقصة باليه، ولديها الوجه الجميل لأن تكون. ووقع حادث لمفصل قدمها وضع حداً لحلمها عندما كانت فى العاشرة من عمرها. ولكنها كانت تحب الناس، وتحب الحياة.

كانت فى الثامنة عشرة عندما قابلت انطونى دانقرز فى حفلة راقصة، دبرت لها اللقاء عرابتها. وكان انطونى

فى زيارة لبلدنها، فى الخامسة والعشرين من عمره، مهندس شاب يقف على حافة مستقبل باهر لحياته. ووجدته ساحراً جداً، ربما لأنه أول شاب تقابله، وربما جمالها الذى أخذت تكشفه حديثا هو الذى أوحى لها بهذا. وأخبرته أنها تعمل فى عيادة طبيب أسنان، فقال ضاحكا:

آمل أن يكون يدفع لك أجراً جيداً!

وعندما أخبرته عن الأجر ببراءة الشباب قال ساخرا:

أنت سخيفة يا حلوتى.. بإمكانك الحصول على أكثر.

جزء منه جعلها تحس بأنها كبرت، وتقريبا نضجت. ولم تكن تلك الليلة طويلة، ووجدت صعوبة فى اقناع نفسها بالعودة إلى المنزل. وجاء انطونى ليراها فى اليوم التالى .. كان أمامه خمسة عشر يوماً يقضيها مع جدته العجوز هناك. وبالنسبة لها كانت خمسة عشر يوماً رائعة. للمرة الأولى هناك شاب يلاحقها، ولأول مرة تحصل على قبلة. وبغباء تام، ظنت أن هذا هو حب عمرها كله، وسيبقى إلى الأبد. فى نهاية الأسبوعين عاد إلى لندن. دون أى كلمة وداع. لابد إنه سيكتب لها. وبعد

مدة طويلة أحست بأن هذه العلاقة قد ماتت مثلها مثل مئات العلاقات للفتيات الصغيرات، ومن الجنون التفكير بها.

وصنعت فنجان شاى للعجوز آدم. وأخذته إلى مخزن الحطب. وهى تقطع الفناء، كانت تسمع ضربات فأسه المنتظمة .. وأحست وكأنها عادت شابة من جديد. وبكثير من الأوجه كانت أصغر من عمرها بكثير.. كما هو آدم.. ومن نواحى كثيرة أيضا، أصغر من عمره.

لقد جلبت لك بعض الشاى يا آدم.

واستوى فى وقفته من وضعية تستيف الحطب، ببطء. وابتسم لها.

شكرا لك يا سيدتى ..

لا تعمل جاهداً. لقد أصبح عندى ما يكفى من الحطب حتى الآن. ولا حاجة لى بالمزيد.

أحب العمل الجاد.

بطبيعته، كان العجوز نشيطاً، يرفض الأعتراف بالقيود التى وضعها عليه الزمن.

هل كنت تعمل طوال حياتك يا آدم؟

لقد عملت فى حراثة الأرض أنا فى الحادية عشرة، يا سيدتى.

لا بد إنك كنت تمشى العديد من الأميال كل يوم.

فضحك، وكأنما الذكرى تسلية:

فى الفلاحة، يمشى المرء حوالى ثمانية عشر ميلاً فى اليوم.

ثمانية عشرة؟ بالتأكيد لا؟

بل ثمانية عشرة.

ولا بد أنها بقيت لفترة تحدق به، لأنه انتظر، ثم قال:

سأشرب الشاى الآن. كى تستطيعى أخذ الفنجان معك، سيدتى.

لا .. خذ ما شئت من وقت.

ثم، ولأحساسها إنه يريد هذا، استدارت لتخرج وفى أنفها عبق الياسمين.

وراقبها وهى تعود إلى المنزل، وقال لنفسه أن هناك شيئا فيها لا يفهمه تماما، شئ مغلق قليلا.

ودخلت فيلوميل إلى مطبخها .. لقد تزوجت تشارلز لويس عندما كانت تقف على مفترق طرق فى حياتها. وربما لا تكون مثل هذه اللحظة حكيمة أبداً، والقبول بمثل هذا ليس بالأمر الجيد.

التقت به عند زوجة المحامى المحلى وقت تناول الشاى عندها. والسيدة ثروب كانت فى منتصف عمرها، ثرية ولطيفة جداً. وشرحت لها أن تشارلز ابن عمها وكبير فى السن بالنسبة لها.

إنه فى السابعة و الأربعين.

فقالت فيلوميل:

أجل هذا عمر كبير حقاً.

وكانت هى فى الخامسة والعشرين، وقد ملت حياة البلدات الصغيرة، وسئمت الروتين المنزلى. ولم تكن مقربة من والدها .. وكانت تغار من الحب الذى يبديه بعض الآباء لأولادهم.

وأقبل تشارلز إلى الحديقة لينضم إليهما لتناول الشاى تحت إحدى الأشجار. وكان كاهنا .. ليس طويلا

ويبدو أكثر سواداً ببذلته السوداء الرسمية. ورغم نحوله كان له أجمل ابتسامة .. وتحدثا ووجدت أن تشارلز كان له حياة متعففة، يذهب إلى المعبد كما كان يفعل أباه وجده من قبل، حتى إنه مرة فكر أن يكون راهبا. ثم قرر أنه قد يقدم الخدمات للناس أكثر وهو كاهن.

ولم يقل لها إنه ككاهن قرية صغيرة كان يعانى العواصف، فعليه أن يكون المعلم، وهو شغوف بأن يضع قوانينه الخاصة موضع التنفيذ، فهو يؤمن إيماناً قاطعاً بصدقيه آراءه.

بعد حبها، لأنطونى، كانت تنطوى بعداً عن الشبان، خوفا من أن تتألم ثانية. فقد كان أول حظها فى الحب تعيسا. وكان تشارلز سيقيم لفترة مع ابنة عمه، وقال إنه سيدرب فيل على التنس. حتى يمكن لهما أن يدخلا المباراة المحلية معاً. وكان هذا نوعا من المرح لم تجربه من قبل. وتزوجته، وكان لها واحدة من تلك الأحتفالات الطقسية الجميلة. وذهبا ليقضيا شهر العسل فى (كورنويل) حيث لم تذهب من قبل. ولكنها لم تكن تعلم أن عمله كان فى تلك المقاطعة.

ونصحهما صديق لتشارلز أن يحجزا فى منزل صغير لاستقبال الضيوف بدلا من الفندق. ولم يكن استقبال صاحبة المنزل لهما لائقا فلدى طلبه منها بعض الكماليات لغرفته قالت بجفاء:

لا يمكن لك أن تحصل على كل شئ. الكماليات للغرف التى من الدرجة الأولى .. وأنت حجزت غرفة فى مؤخرة المنزل.

ولم تتحمل الفتاة الحساسة هذا، فانهارت بعد أن خرجت السيدة، فوق السرير القديم البشع، وبدأت تبكى.. وكان تشارلز لطيفاً جداً معها فأقبل يطيب خاطرها. وتعلقت برقبته، وعن قرب، لاحظت أن وجهه فيه الكثير من الخطوط .. إنه غعلا أكبر منها بسنوات كثيرة، إنه بعمر والدها تقريبا.

ما الأمر؟

انت ترتدى ثيابا مضحكة يا حبيبى.

إنها ثياب الكاهن. ولا استطيع الأستغناء عن الياقة المرتفعة.

وعندما خلع الياقة، بدا لها مختلفا، ولم تستطع معرفة إذا كان هذا الأختلاف يعجبها أم لا، بوجود هذه الحفر والتجاويف فى لحمه، كذلك الخطوط التى كالأخاديد.

واستحمت فى (طشت) حديدى قذر، رائحة الصابون الجاف تعبق منه. لا بد أن أحداً لم ينظفه منذ زمن بعيد، والمناشف كانت وسخة وممزقة. وكانت تأمل بشئ أفضل من هذا، وخاصة تلك الليلة.

وخرجت من الحمام لتجد أن تلك المرأة المرعبة قد أطفأت أنوار المنزل. ثم وجدت أن تشارلز قد لها باب غرفتهما كى ترى طريقها. وكان يبتسم لها .. كم هو رجل عطوف! إنه رجل لطيف جداً! وذهبت إليه ..

كان يرتدى بيجاما قبيحة جداً، لونها بنى غامق ولا تفصيل ظاهر لها. رقبته كانت محروقة اللون من أثر الشمس، ولها خط مستقيم يحددها من الأسفل، حيث يبدأ اللحم الأبيض وكأنه العقد الغريب.

هل كان الحمام جيداً يا عزيزتى؟

أجل.

وأزاح أغطية الفراش لها، فدخلت إليه، لتجد إنه قاسى .. ومتلبد .. كان وكأنه فراش يستخدم على البحر، ويمثل كل أنواع الأضطرابات.

لقد اعتقدت إنك قد تخافى من الظلام، فأتيت ببعض

الشمع معى.. لا تخافى لن يؤذى نورها نظرك.

كم هو رجل عطوف!

وقبلها ببرود .. وأحست وكأنها صدت إلى قمة تلة عالية، وتنتظر لحظة الانتصار، حيث، وبعد الخطوة النهائية، تستطيع النظر إلى المنظر الذى يقع أمامها.

– مراسيم الزواج أتعبتنى.. والرحلة كانت طويلة.. لم يكن لدى فكرة أن كروميل بعيدة هكذا.

أعلم .. حسنا .. أنا تعب أيضا. لقد كان يوما مرهقا. ومن الأفضل. ومن الأفضل لكلينا أن ننام.

واستدار إلى جانبه.

ولم يكن هناك منظر جميل كما تكون قد وصلت إلى قمة التلة... ولم ترى سوى الضباب، والرطوبة، وارتباك التفكير، وبداية الجوع و الاشتياق، والتحرق فى أعماقها.

وتعمق تنفس تشارلز، وتصاعد صوته، حتى ظنت أن هذا الفراش سيكون قبرها، لا يمكن له أن ينام هكذا، وبدأ يشخر، وبالنظر إليه وجدت أن فمه مفتوح بشكل بشع، ومرخى عند أطرافه و كأنه المزراة المفتوحة. وبدأ

الشخير يتصاعد .. ولم تعد تستطيع تحمل أن ترقد هكذا تستمع إلى هذا الصوت الرهيب .. ثم أدركت أن عليها أن تتحمل وربما إلى الأبد.

ولم تستطع النوم أبداً.

فى الليلة الثالثة، لشهر عسلهما، غير المثمر. استجمعت قواها وتحدثت إلى تشارلز حول الأمر. كانت تحس أن هذا خنجر مغروز فى ظهرها، أمر لا يمكن تحمله، أمر لا يمكن أن تفهمه، وعليها أن تخرج الخنجر من مكانه، أو أن تتركه ليحطمها. ومع أنه لا يؤلمها فلديه القدرة على تحطيمها.

كانا على الشاطئ، وربما لم تكن البقعة مناسبة، ولكنها كانت متوترة الأعصاب بحيث لم تعد تستطيع الأنتظار إلى أن تجد المكان الملائم لبحث أخطر شئ سيؤثر على حياتها. خلال الأيام الماضية كانت تقنع نفسها. بأن تكون فتاة غير عادية، وكرهت نفسها للشوق الذى تحس به. وربما تشارلز لا يربط بين ما تفكر به وبين الزواج. ولكن من ناحية أخرى ليس هناك أصعب من محاربة الصمت. وقالت بلطف:

زواجنا ..

هل أنت سعيدة به يا حبيبتى؟

أجل .. . أجل ..

وكانت كاذبة، فهى لم تستطع أن تجبر نفسها على أن تؤلم هذا الرجل الطيب و أضافت:

إنما يبدو لى أنه غريب بطريقة ما.

غريب؟ ولماذا غريب؟ لست أدرى لماذا هو غريب.

وأجبرت نفسها أن تصل إلى النقطة المهمة.

كنت أحب أن أحصل على أطفال.

وصمت للحظات، وظنت أنه قد خجل، ولكنه قال:

ربما سنحصل على أطفال .. يجب أن ننتظر لنرى. فالجواب يقع فى يد قوة أكبر منا ومن ارادتنا.

ولكن ..

أتعنى أنك قلقة .. علينا.؟

قلقة جداً يا تشارلز.

وبدأ يلقى عليها العظات بصوته الرائع للعظات:

ربما أكون رجلا غريباً يا فيل .. . أنا آخذ وقتى كى أفعل أى شئ بتؤدة.

ثم أردف بصوت يغلب عليه الحياء.

- أنا لم أرغب فى أية امرأة من قبل كما يفعل الرجال.

ماذا تستطيع أن تقول؟ لقد اكتشفت إنها هى، فى أواسط العشرين من عمرها، تعرف عن الحياة أكثر بكثير منه وهو فى أواخر الأربعين، الرجل المتحذلق الذى يعظ الناس. وفكرة إنها تفهم الحياة وهو لا يفهم، كانت مثيرة للغضب.

ونظر إليها ثانية، وبدا متفوقاً:

أخشى يا عزيزتى أن يكون علينا تقبل الحياة كما يوفرها الله لنا.

ولكن هذا ما لا تقوله عظة الزواج .. إنها تقول أكثر. ونحن قد وعدنا..

وأحست أنها تقف على خيط .. كالخيط الذى يفصل السفينة عن الشاطئ، خيط بدأ فجأة يكبر ويعرض، ويمكن أن يصل إلى عرض المحيط .. وأرعبتها الفكرة.

وقال لها وهو يقف:

- من الجيد إننا سنعود غداً إلى ديارنا.

وعادا فى رحلة متعبة إلى بيت القسيس. حيث لم يكن المكان المناسب لأخذ عروس شابة إليه. وتقريباً، فى الحال، أصبحت فيلوميل مريضة، قال الطبيب أولاً إنه بسبب انهيار أعصاب، ثم قال إنه نوع من فقر الدم وعالجها لذلك. ولكنها لم تثق به أبداً.

وتحسنت صحتها، ولكنها بقيت حزينة وسئمة، ولا تنام جيداً. ماذا تستطيع أن تفعل؟

إنهيارها الثانى، ساعدها أكثر، لأن الطبيب هذه المرة كان شاباً، وفهم تماماً ما بها. عرف على الفور، ودون أن تقول له، وهذا ما أحست بالأمتنان له. وهو من أصر على أن يغادرا لندن مهما كلف الأمر. وأن على تشارلز أن يحاول الأنتقال إلى مكان ما فى الريف، واقترح أن يناما

فى غرف منفصلة، ولام تشارلز على شخيره وشرح له أن النوم أمر حيوى لصحة فيلوميل.

وعندما اقترح الطبيب بعض الفحوصات والعلاج له غضب وأقفل الباب فى وجهه .. أبوه وأمه ناما فى فراش عتيق مزدوج طوال حياتهما، وهو سيفعل الشئ نفسه .. ولم يكن يعلم بأنه يشخر، ولن يصدق هذا .. ولم يكلمها لما يقارب الأسبوع .. وأخذ يعاملها كما يعامل الأنسان الحيوان .. وأمضت أيامها تبكى. وعندما كلمها أخيرا، كان يقول لها إنه استقال من منصبه هنا.

وأين سيذهب؟

ولم يرد عليها.

وبعد خمسة عشر يوماً سمع تشارلز عن وظيفة خالية فى الريف البعيد فى قرية تدعى (بلاك) وأحبتها فيل منذ اللحظة الأولى .. وقرية (بلاك) تبدو فى أوج جمالها فى شهر تموز، وكأن المكان وكأنه من أرض الأساطير الخرافية.

ثلاثة سنوات من الزواج منه علمتها إنه قد يكون غاضباً جداً منها، على الرغم من عدم إظهاره لهذا

بالطرق العادية. كان له نوعا من القساوة تنتابة، تصميم متجهم، وقساوة فولاذية لا تلين بسهولة.. وكانت تشعر باستمرار إنه والدها، وليس زوجها. كان دائما المتفوق.. ولكنه رجل لا يفهم أبداً متطلبات الجسد.

مأساتها، إنها لم يكن لديها من تلجأ إليه لتحدثه عن مشاكلها. إضافة إلى أن الوحدة التى كانت تعانى منها هى من النوع الذى لا تستطيع الأفضاء بسره إلى شخص ثالث، كى لا تنكشف الحقيقة. والحقيقة هى إنها لم تصبح زوجة لتشارلز أبداً.

وقابلت آدم عند أول أسبوع لها فى (بلاك) .. سمعت شخصا يدق الباب الخلفى، وذهبت لترى من هو.

- صباح الخير سيدتى .. أنا معتاد على القيام باللأعمال المختلفة الغريبة.. إضرام النار، التحطيب، العناية بالخضار، وإدخالها إلى المنزل وتنظيفها وما إلى ذلك، وأتساءل ما إذا كنت ترغبين فى خدماتى.

ونظرت إلى عينيه الزرقاوين كمياه البحر. إنه عجوز أكثر مما تتصور، ولكنه متغلب على السنوات بشجاعة.

وأعجبها منذ البداية، وانجذبت إليه، وهناك أشخاص فى الحياة يجذبونك إليهم.

أنا واثقة إنك ستساعدنا كثيرا ..

• وأخرج يده من وراء ظهره، ولم تكن قد لاحظت هذا، وفيها باقة زهر جميلة جداً.

هذه لك سيدتى .. أحضرتها لك. إنها طازجة وستدوم طويلاً. أعدك بهذا.

كم هذا لطيف منك!

بعدما علمت علم اليقين إنها منجذبه لهذا الرجل منذ لحظة فتحت له باب المطبخ، لتجده واقفا هناك. وأغاظها تصرف تشارلز حياله، فقد قال انه مجرد عامل بسيط وأنه من جيل رجال كلهم عمال، لا ثقافه لهم، ولا مهارات خاصه بل مجرد رجل ولد فى هذه البقعه من الأرض وسيدفن فيها بعد أن يموت وأصر تشارلز أن موته لن يكون بعيداً.

ولكن انطباعها عنه عندما شاهدته يعمل، قال لها إنه سيعيش كثيراً. فهو لم يكن يتردد أبداً فى أى عمل.

وعلمت أنها تستطيع الثقة به.

ونظرت الفتاة إلى المراعى والحقول المليئة بالضباب.. إنها فى الثامنة والعشرين من عمرها، وليس وراءها أى شئ! بل أسوأ من لا شئ! وفكرت بزواجها، بآمالها، برغباتها، بالسعده التى كانت واثقة مرة إنها سيأتى، عندما لا تعود خائفة أو خجولة. وفكرت بالرجل الذى يشخر طوال الليل، واللطيف جداً معها، حتى أن طيبته أحيانا تجعلها تبكى، ولكنه لا يمكن أن يكون زوجها أبداً. ثم، وبمقارنة بشعة، فكرت بحرارة الحب، ورقة المشاعر، والأبتهاج و استدارت بسرعة .. ثم عادت إلى المنزل .. سيكون الأمر أسوأ. مما هو عليه فى الربيع .. فالأشتياق يكون أعظم عندها .. أكبر بكثير.

خائفة من شئ ما

أنهى آدم عمله، وحمل كومة حطب التدفئة عبر الفناء إلى الباب الخلفى، ووضعها هناك كى تدخلها فيلوميل فى الصباح. وبتصرف لم يدر لماذا قام به، وضع غصن الياسمين فوق كومة الحطب. فقد خالجه شعور بأن الفتاة ستعجبها رائحته.

ثم استدار ليخرج من البوابة، ويتجه إلى منزله لم يكن مستعجلا. ولديه سيكارة يخبئها لمثل هذه الساعة. فهو لا يستطيع تحمل شراء الكثير من السكائر، وقد اعتاد طوال حياته على التشحيل من مصاريفه، ولا يتذكر مرة أنه استطاع أن يصرف قدر ما يريد. حتى ولو ربح فى (اليانصيب) وهذا حلم حياته، فلن يعيش فى إسراف. وفى هذه الأيام لا مجال لأن يجوع، وكل شئ مرتب أمامه

للحياة، وكان راضياً بكل شئ كما هو، وإذا وصل النداء.. فهو مستعد له.

كان واثقاً من دخوله الجنة، ومن وجود أبواب من اللؤلؤ وشوارع من ذهب، وليس لديه أى شعور بالاضطراب. وكانت العتمة تهبط بسرعة الآن، وأصبحت غالبة أكثر من النور، والقمر يعلو، ولمعت بعض النجوم التى تعد بنهار جميل فى الغد. وآدم يؤمن بهذه الظواهر أكثر من إيمانه بالنشرات الجوية التى تذاع على الراديو.

ووصل إلى مزرعة جوزيف هاوكنز، وهى أصغر من الآخريات فى القرية، يتقدمها بستان تفاح رائع.. ولدى الهاوكنز الكثيرة من الديوك الرومية هذه السنة، وسيبيعون الكثير منها عندما يحل الميلاد. ولكنه يعلم أن اطعامها يكلف كثيراً هذه الأيام، فالعلف الذى كان يكلف الطن الواحد منه خمسه عشر جنيهاً منذ خمسه عشر سنه أصبح يكلف الآن خمسين. وبينه وبين نفسه لم يعرف كيف يستطيعون تحمل هذه المصاريف.

ونظر من فوق البوابة، بعد أن سمع صوت امرأتين تتكلمان، تعرف على احداهما بأنها السيدة هوكنز، والأخرى ابنته جوان. صوتها يشبه صوت أمها أديث،

وأيقظ صوتها حزنا قديما فى قلبه.

ورأته السيدة هاوكنز.. وكانت امرأة مسترجلة ترتدى بنطلوناً قذراً. ولكن، لا فائدة من ارتداء الثياب النظيفة وهى تعمل فى ترتيب المخزن. وقالت له:

مرحبا.. هاى.. إنه آدم!

وقالت جوان.

مرحباً يا أبى!

وكانت تحمل سلة كبيرة من الطعام، وأحس بكراهية للسيدة هاوكنز لتركها تحملها لوحدها، وأضافت:

هل كنت فى بيت القسيس يا أبى؟

أجل، ولقد انتهيت، وانتهى العمال من الحصاد، وغدا سيعود الحصادة الكبيرة، ويبدو لى إنها تعمل جيداً.

وتدخلت السيدة هاوكنز.

لقد قالوا على التلفزيون أن المطر قادم. مطر شديد! وماذا يبقى لهذا الجزء من العالم؟

وضحكت وكأنها ترى أن ما تقوله مضحك. وقال آدم:

هذا سئ جداً

قالت جوان:

سأحضر إليك غداً لأخبر بعض الكعك لنهاية الأسبوع يا أبى وسأجلب معى بعض اللحم المطبوخ، وسأصنع لك فطيرة لحم لذيذة.

عظيم!

إنه يحب فطائر اللحم. وتابعت:

لو انتظرتنى حتى أدخل هذه السلة، سأعطيك اللحم لتأخذه معك إلى البيت.

ولم تنتظر أن يرد عليها.. وأحس بالسرور لأنها ذكرت (البيت) فبالنسبة له من الخطأ الكامل أن تسكنى هنا مع الهوكنز، بينما هى تنتمى إلى (بيته). فنظام القرية أن يعيش الولد فى البيت الذى خلق فيه، ويبقى هناك حتى يتزوج.. أو يموت. الأولاد يغادرون المنزل مع الرجل أو الأمرأة التى يختارونها فقط. ولم يكن ليعلم متى تحصل الأنفصال بينه وبين جوان.. مع إنه ليس النوع العادى من الأنفصال، فهما لم يتشاجرا قط. لقد ذهبت لتبقى مع

الهوكنز عندما كانت السيدة مصابة بالحصباء، وتاخرت فى الشفاء لأنها أصيبت به بشكل سئ. وهكذا تحولت الأيام إلى أسابيع والأسابيع إلى أشهر، وعندما أدرك آدم ما حصل.

وكانت العتمة قد حلت تماماً عندما أحضرت جوان له وعاء اللحم المطبوخ. فأخذه وودعهما. ثم سار ليصل إلى منزله وقد أصبحت العتمة شديدة، وأشعل الضوء، وجلس فوق كرسيه، ليخلع حذاءه ويرميه بعيداً، ووضع(مشاية) فى قدميه. وصنع لنفسه فنجان (كاكاو) قوى، لأن الليلة كانت باردة، وعاد إلى الجلوس فى الكرسى، يتمتع بالراحة.. وسمع قرعاً على الباب، فقال.

ادخل

وارتفع المزلاج ليدخل ابنه هارى من الباب، وكان له نفس وجه أبيه، ونفس العينين والفم المرهف، وسأله:

هل شاهدت ليديا الليلة يا أبى؟

وأجفل آدم، وأحس بالخطر، ولا يدرى لماذا، ولكنه يستطيع القول أن خطباً ما قد حدث.. وقال:

أجل لقد رأتها.

لقد عادت لتوها إلى المنزل، وثوبها مبلل وكأنها وقعت فى بركة ماء.. وتتصرف بشكل غريب.

وصمت آدم قليلاً، ثم بلل شفتيه بلسانه.

ما نوع غرابة تصرفها.

لست أدرى.. ربما بسبب شاب ما.. لم تقل شيئاً.. وتشاجرنا وأصبح الشجار كبيراً.. ولكننى لم أحصل منها على كلمة.. ولا كلمة لعينة واحدة.

ربما لديها أسبابها.

فى مثل عمرها ليس لها الحق أن يكون لديها أعذار. بإمكانها إيقاع نفسها بمشاكل فى غمضة عين.. أتذكر غراسى فيكرز؟

غراسى فيكرز كانت آخر فضيحة فى القرية، و(بلاك) ضخمت هذه الفضيحة كثيراً. فقد عادت الفتاه إلى منزلها تشعر بالبؤس، هكذا قالت. وأدركت عيون القرية، المتتبعة دوما لأى أخبار جديدة، ما حدث لها، وبعد أسبوع أقبل الطبيب من البلدة، وقبل أن يدرى أحد، كان

هناك طفل يولد فى منزل فيكرز.

مسكينة السيدة فيكرز، لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب. ولكن غراسى صمتت وكأنها وعاء النحاس حول ما حدث. وأخذت الطفل إلى جمعية تبنى وأعطتهم إياه وعادت دون أن تبالى. وإذا سألت عنها آدم لقال لك إنها تسعى وراء طفل آخر. وقال آدم:

حسناً. وماذا بعد؟

وتقدم هارى ليجلس فوق البساط قرب النار كما كان يفعل وهو صبى صغير كان جزءاً من روتين القرية أن لا يطلب من الزوار الجلوس، وفى النهاية كانوا يجلسون لو أرادوا. وانتظر إلى أن قدم له والده فنجان كاكاو. ثم قال:

أظن السبب هو هيوغ بارتون الشاب الذى يسكن المزرعة.. لابد أنه التقى ليديا خلال عودتها من عملها. وقد أخذها إلى (درب العشاق) أراهن على أن هذا ما حدث.

آه...

لقد أتت إلى هنا أليس كذلك؟

لقد جلبت لى فطيرة لحم مع البيض.. جوان ستصنع

لى واحدة غدا.

وكان هارى فى قرارة نفسه قلقاً على ابنته الكبرى فهيلدا ومابيل صغيرتان جداً بعد على الحب. ولكن بنات هذه الأيام يتهجمن على الحب باكراً؟ وأخذ يتكلم ببطء:

ليديا متكدرة. أعرف كيف تشعر حتى ولو لم تقل شيئاً! والليلة هناك شئ ما قد أصابها.

حسناً، مهما كان ذلك الشئ، فهذا أمر يخصها لوحدها. وإذا كنت تفعل ما أقوله لك، أتركها تعمل على ما يخصها بنفسها.. فهذا هو الصواب.

ولكن قد تقع فى مشاكل.

إذا حدث هذا فلن تكون الأولى فى القريه.

وقفز هارى واقفاً على الفور:

لم يحدث هذا من قبل فى هذه العائلة، فتياتنا مستقيمات، وأنت تعرف يا أبى.. والأكثر إنه لن يحدث مثل هذا لليديا.

وأخذت عيناه تلمع من الغضب. وأدرك آدم هذه

العلامة ولم يحب رؤيتها.

إذا تشاجرت معها قد تترك البيت. وعندما ستندم.

لقد حصل الشجار وانتهى الأمر!

كانت ليديا قد عادت متأخر، ودخلت المطبخ حيث كانت العائلة مجتمعة وحدق بها الجميع.. وعندما بدأ والدها بالصراخ.. أين كانت؟ ولماذا تأخرت، وماذا كانت تفعل؟ ومن تظن نفسها لتتصرف هكذا، ومن هو الشاب الذى كانت معه؟ وأمسك بها ودافعت عن نفسها وأصبحت شقيقتاها فى ذعر تام، وأسرعتا إلى غرفتهما للأختباء وكذلك أخوهما. وأخيراً تخلت ليديا عن العشاء وصعدت إلى غرفة النوم حيث شقيقتاها لم تناما بعد. وكانت تعلم إنهما يظنان بها السوء.. ولم ترد على اسئلتهما. بل صاحت:

إخرسا!

وربما كان هارى سوف يتجاهل ما حدث، لولا زوجته التى ثارت به. (مود) دائماً ضعيفة، وتكره الشجار، فهذا يصيبها بالوهن و ألم القدمين، وهذا يقودها إلى مشاكل أكبر.

وظن هارى إنه قد يتوصل إلى العدالة.. ونظر من على البساط الطفولى إلى أبيه وقال:

أنت تعرف ما هى النساء يا أبى.. ثرثرة، ثرثرة، ثرثرة! ولا يتركنك وشأنك. يعتقدن أنهن يعرفن كل شئ.. وهن لا يعرفن شيئاً.

أجل.. أعرف.. سأتكلم مع ليديا.

اوه يا أبى! هل ستفعل هذا لأجلى؟ لقد فعلت وقلت الكثير حتى الآن، فأنا لست من الذى يستطيع السكوت.

وهدأ من روع ابنه وأرسله إلى منزله، وقد أقنعه أن (مود) سوف تستقبله جيداً، فهذه طبيعة النساء.. .

وصعد إلى فراشه.. شئ جيد له إنه يستطيع النوم دوماً، ما أن يستلقى حتى يغط فى النوم كالطفل الصغير حتى الصباح.

وبدأ نهاره، فى اليوم التالى، نشيطاً. قام بعمله لشخص ما، ثم لآخر. ورعى الدجاج والخضار فى حديقة السيدة بينيث. وعمل مليلاً فى بيت القسيس بعد الظهر وساعد جوش هوكنز فى حلب الأبقار. عمل طالما أحبه، فى هذه الأيام العديد من الرجال لا يعرفون كيف يحلبون بقرة.

عندما بدأ نهاره عند السيد بينيث، وجد أن إثنين من

الدجاجات قد بدأنا فى حضانة البيض، وفى هذا الوقت من السنة! ووضعهما فى قفص.. وتمنى لو أنه يستطيع فعل الشئ نفسه مع ليديا. وعائلة بينيث كانت تعنى بحديقتها جيداً. فالسيد بينيث بارع فى الورود والسيدة بينيث تحبها كثيراً.

ودخل السقيفة ليرتب بعض الأشياء، وإذا لم يتفرغ لها لساعة أو ساعتين شهرياً فستصبح فى فوضى كاملة. عندما خرجت السيدة بينيث إليه، كانت نحيلة، شابة فى السادسة والثلاثين، ترتدى الثياب الجميلة، ولكنه علم اليوم أنها غير سعيدة من النظرة التى كانت فى عينيها. وتراجع عن سؤالها عن السبب، لأن خبرته فى الحياة علته أن السؤال فى مثل هذه الظروف ليس ملائماً.

ولم تقل له شئ عن ما بها. وأحس بالصمت بينهما لا يطاق. وتساءل ما إذا كانت قد تشاجرت مع زوجها. ولكنهما زوجان لا يعرفان الخصام أبداً.. فهو لم يعرف أسعد منهما من قبل. ثم استدارت إليه وقالت:

سأخرج باكراً فى السيارة الصغيرة يا آدم.. امسح لى الزجاج أرجوك. على رؤية الطبيب فى البلدة.

وشم رائحة المشاكل.

أنت لست مريضة يا مدام؟

سيكون من الرائع أن ينجب هذان الزوجان طفلاً، فقد مضى على زواجهما اثنى عشر سنة دون أولاد. ولم يظهر أثر أى حمل. وتمنى آدم لو أن السيدة بينيث حامل الآن، ولكنه لم يقل لها شيئاً.

أشعر بالتعب مؤخراً يا آدم.. أعتقد أننى بحاجة إلى مقويات أو شئ من هذا القبيل. وأظن أن الأمر بسيط.

وعلى الفور علم أن الأمر ليس بسيط.

أتمنى لك الخظ يا سيدتى.

وحضر لها السيارة.. وعادت للخروج من المنزل ثانية. وطلبت منه إشعال فرن الغاز عند الساعة الثانية عشرة والنصف كى ينضج الغذاء. وسترجع حوالى ذلك الوقت.. وعمل جاهداً لديها. فرتب كل شئ ونظف قفص الدجاج. ثم دخل ليشعل فرن الغاز. المنزل كان مزرعة قديمة متجهمة عرفه هكذا طوال حياته. ولقد غير فيه البينيث كثيراً عندما أتوا ليسكنوا فيه. وعاد نحو السقيفة ليجلس

ويتناول وجبة طعامه.. . وعندما وصلت السيارة، وخرجت السيدة منها، ووجهها أبيض كوجوه الأموات، وعلم العجوز أن هناك مشاكل فتقدم منها وقال..

لقد أشعلت الفرن يا سيدتى.

شكراً لك.. شكر كثيراً.

ودخلت المنزل دون أن تنظر إليه. وهذا أمر غير عادى منها، وهذا ما أقلقه.

ولم يعد يشاهدها ما تبقى من النهار وكذلك السيد بينيث عندما عاد. وعندما أنهى آدم عمله غادر المكان ولم يعرف شيئاً عما حدث، وأخذ يفكر بالأمر طوال طريقه إلى كوخه. وكانت جوان قد وصلت وخرجت، وفاح فى المكان رائحة الخبز.. . ووجد رغيفاً سميكاً على المائدة، وبعض البسكويت وكعكة مستديرة كبيرة. واستطاع أن يشم رائحة اللحم فى الفرن، ووجد رسالة تقول: أخرج اللحم من الفرن عند الخامسة.. واخذ يستعد لتناول الشاى. وسوف يعود الآن إلى بيت القسيس ليشعل للمرأة الشابة النار.. فهو يحب الأشياء الروتينية.

عندما خرج إلى الشارع.. شاهد ليديا بأبهى زينتها، تتجه ثانية نحو(درب العشاق) وهذا يعنى أن هارى سيعرف وسيكون هناك انفجار للمشاكل هذه الليلة.

أنت مرتدية أبهى ثيابك

لدى موعد.

وهذا هو الأسم الجديد لمشاوير العبث.

أبلغيه حبى.. أنت تبدين جميلة.

فى الحقيقة أن ليديا لن تستطيع قول شئ، فهى قلقة على نفسها منذ بدأت هذه العلاقة. وبدأت أول عشرة أيام ساخنة لها فى حياتها. وكانا التقيا ثانية بعد ليلتهما الأولى و قبلها، وكان هذا شيئاً مثيراً لها! ولكنها لن تقول أبداً أن أحداً لم يقبلها هكذا من قبل لأنها كانت تدعى الفطنة والتجربة فى الحياة.

خلال الساعات الأولى من قصة غرامها، وبالطبع كانت أجمل قصة رومانسية فى العالم، تلبك كل عملها فى المكتب الذى تعمل فيه: ولم توافق الآنسة شارب على ما يحصل. فوجهت إليها ملاحظات قاسية أغضبتها. ولكن،

بالطبع، مستقبلها فى العمل يتوقف على رأى السيدة شارب فيها، وهذا ما يعقد لها الوضع.

وأحجمت ليديا عن الملاحظات الحادة التى كانت تنوى أن تطلقها، واحمر وجهها، وترقرقت الدموع فى عينيها، ثم وضعت ورقة أخرى فى تلك الآلة المريعة القديمة للطباعة، وبدأت العمل. كان عليها أن تعترف بأنها من الطراز الأول فى الوقوع بالأخطاء. وبقيت أفكارها مشغولة بلبلة أمس، وهيوغ على العشب إلى جانبها فى(درب العشاق) حيث جلس شبان وشابات القرية معاً طوال أجيال.

يريد هيوغ منها أن تبرهن عن حبها له، فهو يريد كل شئ.. وتظاهرت ليديا بأنها محنكة، وهى تتقبل قبلاته ومداعباته التى أرسلت دواراً، مع قليل من الرعب،فى نفسها. وادعت أنها تعرف كل هذا، ولم تعد الآن متأكدة من أنه يعرف أكثر منها. وفجأة تلاشت شجاعتها، وكل خبرتها العملى مع الراشدين، أمام استحواذ فمه ويديه على جسدها. فقد قال، إنها إذا لم تستسلم له، فسوف يبتعد عنها ولن يكلمها ثانية. ثم سيعرف القرية كلها إنه

هجرها.. ولكن لو استسلمت، فقد تصبح حاملا. وهذا أمر سيكون عاراً عليها.

وفى اليوم التالى، تحدثت إليها الآنسة شارب ثانية، وقالت أن عليها أن تعمل بشكل أفضل.. . فماذا حدث لها؟ وكان رأى ليديا أن إخبار الآنسة شارب بالأمر لن يجدى.. . لأنها لا تعرف شيئاً عن الحب! ولو أنها تعرف، لما بقيت آنسة!

واليوم، بدأ الجد يكلمها، وكان لديها فكرة غامضة إنه يعرف أكثر مما يقول، فهو دائما هكذاً، الليلة قال الجد إنها جميلة، وهو ليس مغرماً كثيراً بمدحها، لذا فهو يريد شيئاً. شئ أكثر من فطيرة اللحم بالبيض، وشعرت إنه يريد أن ينتزع منها أسرارها، ولكنه لن يتمكن. فسوف تعيش حياتها على طريقتها الخاصة، وسوف تغرق أو تسبح فى النتيجة.

وأكملت سيرها إلى (درب العشاق).. .

ووقفت هناك تنتظر هيوغ. وتأخر فى الوصول. ماذا سيفعل إذا لم يأت بالمرة؟ ربما قد سأم منها؟ وإذا أتى وأصر على ما أسماه برهان الحب؟ فماذا ستفعل؟

وانتظرت ربع ساعة، ووصلت إلى استنتاج أن ارتداءها لثوب جديد كان دون فائدة، وأن هيوغ قد تخلى عنها. ثم، ودون توقع، سمعت وقع خطواته فوق الطريق، وبرز من الزاوية إلى (درب العشاق) وفجأة سبح الدرب بالجمال وتنهدت الأشجار القديمة، وامتلأت شجيرات التوت البرى بالثمار، وعبق المكان برائحة الدفء. واستدارت إليه. ولم تكن تنوى أن تقول ما تحس به.. ولكنها، فى سرها، كانت مسرورة لأنه عاد.

هيوغ.. ظننت إنك لست قادماً.

لحظة أن قالت هذا أحست أنها أخطأت، فقد أعطته فرصة ليحس بسطوته عليها. وجذبها إليه، ومع أن من المثير أن تحس بقوته، فقد أحست بالرعب أيضاً. فقد كانت تكره سطوته عليها، وضعفها الخائف منه.

أنت وأنا يجب أن نتكلم.

أجل أعرف هذا.

وسارا صعوداً فى الدرب إلى حيث أصبحت الأشجار أكثف ويمكن أن تخبئهما. وكان أمامهما مرجة من

العشب القصير جداً، فجلسا فوقها. وأحست بالخوف الشديد.. . وقال لها:

ماذا سنفعل؟ أعنى.. عنا؟

ما تطلبه خطأ.

أنت سانجة صغيرة! أنت لا تحبينى بل تتظاهرين بهذا. عصفور اليوم يساوى إثنان فى الغد. وهذا يتطبق على هذه الليلة.

وقبلها بتهتك كان كريهاً تقريباً. فقالت وكأنها العاجزة:

أنا فتاة.. مستقيمة.

وتمنت أن لا يبدو كلامها غبياً. ورد عليها مهدداً

سوف تخسرينى.

وكانت تعلم أنها لن تتحمل هذا، فوضعت وجهها على رقبته، فهمس:

أنت تعرفين ما أريد؟

ولكننا لسنا متزوجان.

الزواج حجة المغفلين، أنت لا تثقين بى، مما يعنى إنك لا تحبينى حقاً، ولن تكونى الأولى.. وأنت تعرفين هذا.

الطريقة التى قال كلماته بها جعلتها تغضب.. ففى نفسها كرامة العائلة وهذا شئ أبرز فيها حب المقاومة. فانتزعت نفسها منه، ووقفت، وتركته جالساً حيث هو. فقال بوقاحة:

أنت قديمة الطراز ذات أفكار بالية.

ورفسته، ثم ضربته بقبضتها على ظهره، وبما إنه لم يكن يتوقع هذا، فقد انقلب وبدأ يتدحرج. وخافت مما فعلت، ومع ذلك فجزء منها كان فخوراً بما فعلت. وركضت تنزل (درب العشاق) نحو بيتها. وفى نفسها شعور مبهج بالتيه، ولكن ما أن برزت القرية أمامها حتى علمت أن أمها الآن تنهى (كويها) للثياب ووالدها يقرأ الصحيفة قرب المدفأة، بينما هيلد ومابيل تلهون. وخففت من سرعتها. لماذا فعلت هذا؟ وكم كانت غبية. لأنها خسرته الآن!

وبدأت تبكى.

الفرح المصموم

تلك الليلة، حصل شجار بين فيلوميل وتشارلز.. كانت تكره الشجار لأنه لا يوصل إلى أى نتجة، ويحدث ضرراً أكثر مما شيئا يعوض ما قد يصرفه من طاقة، وكانت قد حضرت الشاى مسبقاً، وكذلك الكعك الطازج، والخبز والزبدة، وفطيرتين من البيض. عادة تشارلز يحب أكل البيض. ولكنه اليوم كان يرغب فى سندويشات من اللحم.. وفى اعتقاده أنها أخطأت.

وتشارلز من الرجال السريعى الأمتعاض والذين لا يظهرون امتعاضهم، وجلس ليأكل البيض بصمت تام. وقالت له:

أرجوا أن يكون الطعام قد أعجبك؟

أنا بحاجة إلى شئ دسم أكثر. اللحم. فقد يحدث فى الأجتماع شجار مع جوش هوكنز، فالناس يعرفونه أنه دائما يميل إلى الشجار.

إنه صعب المراس، وأعلم هذا.

كثيراً وكمعظم الرجال الذين لديهم برغى (مملص) فى رؤوسهم فسيكون صعباً للغاية. واحتاج إلى شئ يقوينى على مواجهته أكثر من البيض.

وكان لديهم شريحة (كستلاتة) باردة. فاقترحت عليه أن تسخنها له.. فتوترت أعصاب تشارلز. وهى تعرف دائماً عندما يبدأ بالتوتر، فهناك شريان يبدأ بالنفض فى صدغيه، وحاولت أن تخلق عذراً لنفسها:

أنت لا تستطيع فهم كم الحياة مملة لى. مملة حتى الموت.

وهل كنت تتوقعين أن تكون حياة القسيس فى الريف مثيرة؟

كنت أتوقع أن تكون أنت مثيراً.

ولحظة أن قالتها أحست بالخجل. وكان هناك شعور داخلى بالنقص فى حياتها، يذكرها على الدوام، ويحبطها

على الدوام، وعدم اكتراثه كان يزيدها غضباً.. لا بد إنه يشعر بأنه يتصرف معها بخساسة؟ هل يظن نفسه الأستاذ بين الرجال يضع قوانينه الخاصة، ويشعر بأنه لا يمكن أن يخطئ؟ لقد ارتكب خطأ فادحاً، شئ لا يمكن لها أن تتحمل التفكير به. ويتقبل الأمر بكل بساطة بأن ما حدث قد حدث. شئ لا يمكن لأى مخلوق أن يشير إليه. لقد وضع ستارة حول الأمر. ستارة فولاذية كأنها ستارة النعش.. ولاحظ بأنها تبكى.

تمالكى نفسك .. أنت لا تعرفين عن ماذا تتكلمين، فأنت سخيفة بشكل فظيع.

ووقف.. وفوجئت بأنه قصير جداً. أنطونى كان أطول منه بكثير، ووقف يراقبها وكل جسده قد بدا عليه الأنزعاج، ثم دخل مكتبته.

ونظفت فيلوميل الطاولة، وغسلت الصحون، ولكنها أحست بالغثيان من الغضب. وسمعت عضوى مجلس الرعية يصلان، فاستقبلهما تشارلز ودخل الثلاثة إلى المكتبة.

كانت تنوى أن تقول له إنها خارجة للنزهة، ولكنه كان

فى مزاج جعلها لا تكلمه، وهذا أمر لا تستطيع تغييره فيه. وخرجت إلى الدرب، الذى يدعوه أهل القرية (الشارع) ولفحها الهواء الدافئ الناعم على وجهها .. وسارت مبتعدة عن القرية، فهى لم تكن ساعتها تطيق المنازل أو الناس. فقد كانت ترغب فى أن تكون لوحدها.

كانت مسجونة فى سجن تحيط بها الجدران، تمنع عنها العالم الخارجى .. لن تحصل على الحب أبداً .. ولن ترزق بأطفال .. كل ما ستحصل عليه هو البؤس فى الاستمرار هكذا إلى الأبد، إلى أن تصبح عجوزاً.

ومشت نصف ميل إلى حيث غيضة صغيرة كثيفة الأشجار، وعلى أطرافها أشجار الصفصاف .. أقاويل القرية تقسم إنه هنا، فى هذه الغيضة، قطعت رقبة ساحرة، وماتت فوق العشب. والقصة ليست حقيقية، بالطبع، مع أن أهل القرية يصدقونها. وما أن اقتربت منها حتى سمعت صوتاً غريباً، وكأنه إمرأة تبكى. لا بد أن هذا بسبب الريح التى تتلاعب بالأشجار. أو إنها الأشباح، ولكنها واثقة أن لا أشباح هنا، والصوت كان يصدر عن داخل الغيضة، حيث يوجد ظلال مخيفة ..

ولكنها شجعت نفسها؛ وصاحت:

هل هناك من خطب؟

وتوقفت البكاء فجأة. ولم تعد تسمع أى صوت، حتى ولا صوت ورقة تسقط. وأقلقها ظلام ذلك المكان. فصاحت ثانية:

أرجوكم.؟

وسمعت صوت تحطيم عود شجر، وعلمت على الفور أن شخصاً ما يسير خاجاً من الغيضة باتجاهها. وكانت الشمس قد غربت تقريباً. وحل أول نسيم بارد لليل. وخرجت كاى بينيث.. ولم تكن فيلوميل تتوقع أبداً أن ترى السيدة بينيث هناك، أو أن تعرف بأنها هى من كانت تبكى. وسألتها فيلوميل:

هل هناك شئ خاطئ؟

كل شئ.

وشاهدتها فيلوميل تترنح فأمسكت بذراعها، ووجهتها نحو جذع شجرة يرتمى على الأرض.

إجلسى قليلا.. فالأرض غير مستوية وقد نقع سوياً.

وجلستا على جذع الشجرة. وقالت فيلوميل لها:

لما تبكى.

لا شئ .. لا شئ إطلاقاً.. على العودة إلى بلدة مارشهام غداً لأقابل الطبيب.

الدكتور ميرديث؟ إنه رائع. أليس كذلك؟

اوه.. لا!

لقد ظننت اولاً أن السبب هو فقر الدم. ولكننى كنت أشعر برغبة دائمة فى القئ .. أنا .. لقد كنت أرغب فى الأولاد، وزوجى سيحب كثيراً أن نرزق بطفل .. وكنت أعتقد دوماً أننا لو انتظرنا.. .

وانفجرت بنوبة. بكاء ثانية .. ولكن بعد لحظات تماسكت وتابعت:

أراد أن يحصل على رأى أخصائى .. وحددت موعداً مع أحدهم. وعندما أعود أستطيع إخبار كلود بالأمر.

أتعنى أن السيد بينيث لا يعرف بعد.

لا يعرف شيئاً. لقد عاد متأخراً هذا المساء، وكان على أن أهرب من مواجهته قبل أن يصل.

وماذا يقول الدكتور ميرديث حول الأمر؟

لم يقل لى .. بل قال إنها غير مؤذية، ولكن لا أحد يعلم قبل نتيجة التحاليل.

ووضعت فيلوميل يدها على يد كاى.. ثم قالت:

فى الحياة يبدو كل شئ أمامنا أسوأ مما هو عليه، ثم عندما نصل إليه تتوالفين معه. بإمكاننا تجاوز نصف مشاكلنا، صدقينى.

حتى ولو كان الأمر غير مؤذى، فلا زلت بحاجة لعملية.

لقد أجرت عرابتى عملية، وكانوا يظنونها مميتة. ولكنها لم تكن.

– أكره أن أصل إليها وأجد أنها أفظع مما اعتقدت.

وجلستا هناك كشقيقتين، رأس كاى يرتاح على كتف فيلوميل. وسمعتا أصواتاً ليلية من الغيضة، واهتزت شجرة وطار عنها عصفور، ووقعت ورقة.. ولكن لم تحسا بالخوف. ولا واحد منهما كانت تخاف. وقالت كاى:

أنا سعيدة لقدومك.

وأنا كذلك. وماذا ستفعلين مع زوجك، لا بد إنه فى البيت الآن؟

لست أدرى.. كانت تتملكنى رغبة قوية فى الهرب، ولكننى لا أعلم إلى أين وماذا سيحدث.. لن أستطيع إخباره.

سأقول له بنفسى، وسأساعدك للوصول إلى البيت.

وبدا إنها وثقت بفيلوميل تماماً، وسارتا نزولاً على الطريق معاً، يداً بيد كالفتيات الصغيرات. وما أن وصلتا إلى بوابة منزل كاى، حتى شاهدتا الأنوار فى داخله، وعلمتا أن كلود بينيث قد عاد. وصعدت كى رأساً إلى غرفتها، ودخلت فيلوميل إلى غرفة الجلوس.. وكان كلود بينيث يصب لنفسه مشروباً، فاستدار بحدة، ولكن بالتأكيد لم تكن هذه المرأة التى توقع أن يراها.

سيدة لويس؟

أسفة إذا كنت فاجئتك. ولكننى التقيت كاى فى الطريق. حذاءها مبلل ولقد صعدت لتغيره.. لذا دخلت لأتحدث معك.. هل تسمح؟ حديث صغير.

وهل هى أخبار سيئة؟

ليس تماماً. عليها أن تجرى عملية. وهى خائفة جداً. وعلى العموم الأطباء ليسوا بارعين فى الحديث مع مرضاهم. تخشى أن يكون ما بها شئ رهيب. وأعتقد أننا جميعاً نشعر هكذا أمر. أنها تحس بالأنهيار، وقد عدت بها إلى المنزل، وأظن أن فنجاناً من الشاى قد يساعدها.

أظن أن شراباً سيساعدها أكثر .. وأنت؟

لست معتادة على مثله إلا كدواء.

إشرابيه الآن كدواء إذاً. أنت فتاة لطيفة، وأشكرك على مساعدتك لكاى.

إنها بحاجة لمساعدة.

بالطبع.. هل سيكون فظاظة منى لو تركتك وذهبت إليها!

أظن أن هذا أفضل ما تفعله.

وخرجت ثانية إلى ظلام الليل. إنها هى من بحاجة لمساعدة، وتقديمها مساعدة لأمرأة أخرى جعلها ترضى الألم الذى يعتريها، بطريقة ما. وسارت بسرعة أكبر؛ وعلمت أنها أسعد حالاً الآن. ووصلت إلى الشارع الرئيسى فى القرية وكل نوافذ المنازل مضاءة.. وسمعت

نقاشا فى منزل هارى جايمس ثم صوت فتاة تتكلم بحدة. وعلمت أنها ليديا، فالفتاة هى واحدة من المراهقات الجميلات فى القرية، وهناك كلام كثير عنها. وكان منزل آدم ساكناً.. العزيز آدم.. وأدركت أنهما قد أصبحا متقاربين جداً فى معرفتهما القصيرة لبعضهما.

ووصلت إلى بوابة منزلها، تشعر بسعادة أكبر وتدرك أن القدرة على مساعدة الآخرين تنقلب لتكون مساعدة لنفسها. وبدت هذه الفكرة بعيدة. ولكن ربما هذا ما يجب أن يكون.. الواجبات تجاه الآخرين.. ولاشئ سواها.

كان هارى قد عاد إلى منزله، كما عرفنا، وتشاجر مع ابنته ليديا. وكما قال لوالده فيما بعد، لن يسمح لبنت من بناته بالذهاب إلى درب العشاق بعد اليوم. ولدهشة آدم قال هارى أن ليديا لم تنزعج كثيراً. عندما اجتازت أول نوبة غضب، وبدا له أن علاقتها قد بدأت تبرد. فحب الشباب ليس له قوة البقاء طويلاً.

والتقى آدم بهيوغ وهو فى طريقه إلى دار بينيث بعد يومين. وحياه دون أن يبدو عليه أى انفعال .. وهذا ما لا

تستطيع الفتيات فهمه.. يحطمن قلوبهن والشباب لا يبالون. والفتيات مثل رطب النخل.. الكثير منها ينضج والرجال لا يزعجون أنفسهم، ومأساة كبرى على الفتاة أن تخسر حبها، بينما الشباب لا يبالى، لأن خيار الفتاة محصور بمن تتعرف إليه ويطلب منها المواعيد.

وبدا ممتناً عندما عرف أن السيدة بينيث قد تحسنت. لقد تحدث معها. لأن هناك عدة أنواع من الشائعات تروج فى القرية، وكلها تجمعت عندما علم الجميع أن زوجها سيأخذها إلى أخصائى. وقال لها:

لقد عشت كل هذه السنوات ولم استمع إلى نصيحة طبيب، فهم لن يجنون المال إذا لم يخوفوا مرضاهم.

أنت .. حقاً تعتقد هذا؟

ومدت يدها الصغيرة لتمسك بيده.

باركك الله يا آدم. جعلتنى أشعر أكثر سعادة.

وراقبها وهى تبتعد بالسيارة.

وعلم فى اليوم التالى أن ذلك الأخصائى قد أعطاها تشخيصاً ألطف مما كانت تتصور وأنها قد قنعت أخيراً

بإجراء العملية. وفكر أن الصداقة التى قفزت للوجود بينها وبين فيلوميل أمر رائع. فهما زوج من النساء من ألطف ما يعرف. وكلاهما وحيد. وتحتاجان لبعضهما.. وكان يعرف أن القرية كانت على الدوام قاسية مع السيدات. وهن يبقين دائماً فى وحدتهن.

يوم السبت أقبلت جوان لتنظيف المنزل لأبيها.. وأحضرت معها الخبز والجبن للغداء، وبعد استراحة قصيرة تابعت التنظيف فى الطابق السفلى بعد أن أصبح العلوى يعبق برائحة الصابون النظيف. وكانت على وشك البدء فى تنظيف المطبخ عندما أقبل، الفى، ابن السيدة سبنسر راكضاً، وقال وهو يلهث:

لقد حدث حادث!

لمن.. لأبى؟

لا.. بل للسيدة هوكنز. لقد وقعت وطلبت منى أن أخبرك.

ورمت جوان بكل شئ من يدها وأحست وكأن سكيناً غرزت فى قلبها، فقد أدركت أن حادثاً لصديقتها ألمها أكثر من قبر وفاة والده. وأوقفت عملها، ولم تهتم بأى

حالة تركت المكان. و ركضت الفتاة عبر الفناء الذى يتقدم المزرعة، وأخذت الدجاجات تهرب من أمامها كالعادة. ودخلت المطبخ، وصرخت، ثم سمعت تنهيدة:

ميريام؟ ميريام.. أين أنت؟

وكانت فى الغرفة الأمامية. وعرفت جوان على الفور إنها كانت تحاول تعليق الستائر فوقعت، وكانت مستلقية على الأرض وهى تتلوى، إذاً لا بد وأن شيئاً فيها يؤلمها.

ميريام ماذا حدث؟

لقد وقعت، وساقى تؤلنى.

جوان كانت من النوع الذى يستطيع مواجهة الأوضاع الصعبة فاستدعت الفى سبنسر وأعطته بعض النقود وقالت له:

إسرع إلى غرفة الهاتف يا الفى و اتصل بالدكتور ميرديث. قل له أن حادثاً حصل.

والتفتت إلى ميريام:

هل تؤلك؟

ـ بشكل مريع.

سأحاول إراحتك.

وأحضرت وسادة ووضعتها تحت رأس ميريام، ولكن كان من الصعب زحزحتها لأنها ثقيلة الوزن. وكانت الساق مكسورة وقد انزاحت من مكانها السوى. ولم تجرؤ على لمسها.

وعاد الفى.. ليقول أنه كان محظوظاً لأنه حظى بالطبيب على الفور.. ولكن الطبيب طلب منه أن يتصل بالممرضة المحلية لتساعده ولم يعد لدى الفى المال اللازم لذلك.. ولكنها كانت واثقة أنها أعطته أكثر من اللازم. وتذكرت أن والدها كان يقول أن كل أولاد سبنسر يدهم طويلة. فاعطته قطعة مال ورقية وطلبت منه أن يحصل على نقود حجرية من مركز البريد، ثم يجرى الأتصال بالممرضة.

وساعد الشاى ميريام على الهدوء. وكانت جوان تحاول على الدوام أن لا تنظر إلى الساق المصابة المشوهة، فمنظرها كان سيصيبها بالغثيان. وحالفها الحظ، فقد سمعت صوت سيارة الطبيب ودخل وهو يبتسم:

هل هناك من مشاكل؟

كان شاباً وسيماً وأخلاقه ممتازة.

أجل.. كنت فى منزل أبى أنظفه وجاء الفى يستدعينى ووجدتها هكذا. وتبدو ساقها بحالة فظيعة و لم اجرؤ على تحريكها.

أنا مسرور لأنك لم تحاولى تحريكها.

وتقدم من ميريام ليرفع تنورتها إلى فوق و يكشف عن الساق التى التوت بشكل فظيع. وكأنها غصن شجرة مكسور ومعلق فوق الجذع. وأحست جوان بالرغبة فى القئ لهذا المنظر.. فركضت إلى المطبخ.. من الخطأ التقيؤ فى ذلك المطبخ الجميل الأنيق، ولكن ما العمل.. ووقفت تستعيد أنفاسها، وتمكنت من السيطرة على أعصابها.. إنها ابنة أبيها، ولها بعض من روحه القوية، وعادت إلى الغرفة.. وقال الطبيب.

إرسلى من يطلب سيارة إسعاف.وحضرى لها حقيبة ملابس. أستطيع إراحة ألمها، ولكن هذا يستدعى إجراء جراحة.

إنها تكره المستشفيات.

أعلم، ولكن الساق مكسورة وتحتاج لعناية كى تعود إلى طبيعتها. وهذا ما كان ليحدث لو إنها نحيلة. الممرضة

لن تتأخر كثيراً فى الوصول.

ولكن ماذا سأفعل إذا لا متنى لأننى سمحت بذهابها إلى المستشفى.

إذهبى واتصلى بسيارة الأسعاف وسأتكفل بالباقى. هيا يا فتاتى الطيبة.

وأحست جوان بالسعادة لأنه دعاها بالفتاة. لأنها كانت تحس أن الحياة قد بدأت تتسلل هاربة منها. وأنها تكبر فى السن، لقد قاربت الأربعين، وهو سن ملئ بأشباح تخيفها. وبطريقة ما كانت سعيدة لحياتها مع هذه المرأة التى تدللها وترعاها، فهذه هى العاطفة الوحيدة التى حصلت عليها فى حياتها. جوان لم تكن متوافقة مع والدتها أبداً، ووالدها متباعد، مع إنه لطيف، ولكنه بطريقة ما بعيد عنها. كانت تحب ميريام هوكنز حقاً، وهذا شئ لم تحس به نحو بيتها.

ووصلت سيارة الأسعاف بسرعة. وقلقت جوان حتى الموت. وكان الطبيب قد أرسل الفى ليسدعى جوش هوكنز من الحقول البعيدة. ودخل الطبيب وراءها إلى المطبخ وقال:

لقد حملوها إلى سيارة الأسعاف.. وجوش وصل. وهو

يفهم أن هذه هى الطريقة الوحيدة.

ولكنها ستبقى فى المستشفى لأسابيع طويلة؟

لا.. ليس فى هذه الأيام.. ستعود قريباً، وسترعاها المرضة فى المنزل. وعندما تحصل على عكاز للسير ستكون على ما يرام.

وربت على كتفها.. وبطريقة ما حركتها تلك اللمسة، وقالت:

ميريام كانت الشخص الوحيد الذى أبدى العطف على. والدتى وأنا لم نتفق أبداً. ووالدى بارد، ومتباعد عنا. لو كنت تدرى ما أعنى.. وميريام كانت طيبة معى.

فى تلك اللحظة أحست أنها منجذبة له، ومعجبة به. وهو قادر على أن يعطيها شيئاً يشجعها به. إنه رقيق جداً.. وقال لها..

أعتقد أنك بحاجة لفنجان من الشاى.. أليس كذلك؟

وعلى الفور مرت بما يشابه الفرح المحموم بأن تفعل شيئاً له، شئ يريده. وحضرت الشاى، وقطعة (كايك) كانت قد صنعتها ليلة أمس. وهنئها على صنعها للكايك.. وعندما انتهى من الشاى عاد للتحدث مع جوش الذى يبدو متكدراً.

تستطيع الأتصال بالمستشفى فيما بعد وسيبلغونك عن حالها.

وذهب جوش مع زوجته فى سيارة الأسعاف.

وحضرت جوان حقيبتها وأخذت أشياءها معها، وذهبت إلى منزل والدها بعد أن تركت العشاء جاهزاً لجوش عند عودته. وفى المنزل تابعت ما كانت تقوم به، ونظرت إلى الساعة، وعلمت أن والدها سيكون فى المنزل خلال عشر دقائق. فوضعت إبريق الشاى على النار، وفى نفس اللحظة سمعت اقدامه الثقيلة فوق الحصى عند زاوية المنزل.

ماذا؟ انت هنا؟

لقد وقعت السيدة هوكنز، وكسرت ساقها. فنقلوها إلى المستشفى ولن أستطيع البقاء مع جوش لوحدنا.

لا.. أعتقد هذا. وهكذا عدتى إلى هنا؟

أجل.

وساورها انطباع إنه غير مسرور بعودتها. فقد تعودا على روتين حياتهما السابقة، والروتين اليومى لا يمكن أن يزعج.. وعلمت أنها بحاجة لأن تبكى.

دعوه للإقامه

إخبار حادثة ميريام هوكنز أزعجت القرية. مع أن ميريام، وكما قال الطبيب، عادت عند نهاية عشرة أيام إلى منزلها. ولم تكن القرية معتادة على أن يتغلب أحد على مثل هذه الحادثة المريعة بسرعة. . وكانوا ينظرون إلى الأمر بارتياب. كذلك إلى طرق الدكتور ميرديث الجديدة فى العلاج. . وكذلك من غير الطبيعى أن لا يكون الطبيب متزوجاً، فهذا أمر صعب على النساء تقبله، وبعضهن يشعر بالحرج والتردد فى أن يتفحصهن لهذا السبب فالرجال المتزوجون وحدهم من يعرف بمشاكل النساء. . وكذلك الأمر الأطباء.

واجتازت السيدة بينيث عمليتها بنجاح لم يتوقعه أحد. وخرج السيد بينيث إلى الحديقة يخبر آدم عن تحسن صحتها.

العملية تمت على أحسن ما يرام. ولم يجدو شيئاً. وهذا بركة من الله. لقد استراح بال الجميع.

أجل يا سيدى.

وكان آدم يعلم أن هذا هو الخوف الذى كان. الناس يسمونه الخبيث ولكنه يعرف أنه السرطان. وقد يكون الأطباء حذقين وبارعين، ولكنهم حتى اليوم لا يعرفون له دواء.

لو صنعت لها باقة أزهار من النوع الذى تحبه، أتمانع فى هذا يا سيدى؟

سآخذها لها، وأنا واثق إنها ستحبها.

وجمع آدم الأزهار فى الصباح التالى بعناية فائقة. وستكون هذه الأزهار آخر أزهار الحديقة. ففى أى وقت الآن سيبدأ موسم البرد.

وعاد إلى منزله باكراً. وسار على مهل، فلم يكن مستعجلا، حتى ولو كان الضباب قد بدأ يتصاعد، وعند نهاية الطريق شاهد فتاة تحادث شاباً وكلاهما يستند إلى بوابة الحقل. وكانا مستغرقان فى الحديث بحيث إنهما لم يسمعاه وهو يقترب، ومال إلى فوق العشب كى

لا تسمع وقع أقدامه. وسمعها تقول:

ظننت أنك تحبنى.

نبرات صوتها كانت كالسوط تنزل على قلبه. . هيوغ لم يحبها أبداً. وكلاهما يحب الحب فقط، والشعور الذى يقدمه لهما الحب، والبهجة. ربما، هذا يحدث لكل واحد منا فى وقت من الأوقات. . فقد حدث له.

وتقدم منهما ليقول:

إنه مساء جميل.

هيوغ بارتون لم يكن مهتماً بالطقس، فرد دون أن يلتفت.

عظيم.

العشاق لا يحبون المقاطعة. ويسعون دائماً أن يكونوا لوحدهم. وهو يعلم أن هذه العلاقة قد تجاوزت ذروة تأثيرها، وهى قادمة الآن نحو نهايتها. وسوف يتحطم قلبها قليلا، ثم تجد لها حباً آخر، وعندها ستقسم بأنها لم تكن محبة هكذا من قبل.

وتابع سيره، وما أن اقترب من بوابة داره حتى استدار ليشاهد فيلوميل لويس قادمة باتجاهه، لقد كانت

فى زيارة للسيدة بينيث، وتبدو تعبة. ولوحا لبعضهما. . ثم تابعت فيلوميل الطريق إلى أن وصلت قرب الجدار القرميدى الذى يحيط بحديقة منزلها. تشارلز لن يكون فى الداخل لأنه ذهب إلى إجتماع اكليركلى فى بلدة قريبة وما أن حاولت فتح الباب حتى شاهدت سيارة تتقدم من الجهة المقابلة. . ولم يكن من عادة السيارات استخدام هذا الطريق، فهو مسدود ويقود فقط عبر البوابة إلى ممر ضيق، ثم عبر حقل ليعود إلى الطريق الرئيسية. وما أن اقتربت السيارة من سياج المنزل حتى تزحلقت وانقلبت رأساً على عقب. فركضت باتجاهها، وما أن وصلت حتى كان شاب صغير يتسلق من داخلها إلى الخارج وهو يمسك بذراعه، وتهاوى إلى الأرض بعد أن خرج. فأسرعت إليه.

لقد أفلت منك زمام القيادة أليس كذلك؟

إنها غلطتى . . كنت أعلم أن عامود القيادة معطل. . ولكن ذلك العامل فى الكاراج اللعين قال إنه سيكون على ما يرام، انظرى إلى السيارة!

كان نوعاً من الرجال لم يكنه تشارلز أبداً، ولن يكون،

مع إنهما معاً لهما شعر أسود. وجهه كان محمراً من حوله شعر كثيف يتراجع إلى الوراء، بينما عيناه اللوزيتان كانتا جميلتان جداً. وشاهدت كل هذا على الفور، وأحست بالخجل لأنها تعرفت على جمالهما. وقالت:

أنا آسفة. أدخل إلى هنا. فهذا منزلى. .أنا زوجة الكاهن..

وكان عليها أن تساعده فى أول خطواته، وكانت تشعر بأنه لا يزال دائخاً.وساعدته ليدخل ثم ليجلس على مقعد مريح فى غرفة الجلوس فقال وهو يبتسم:

انا أجعل نفسى أبدوا وكأننى الأحمق.

لدى بعض المشروب القوى. . هل تأخذ منه قليلاً.

سأحب ذلك كثيراً.

وأعطته كل ما كان فى الزجاجة. فقال بعد أن أحس بالراحة:

عظيم. . وليبارك الله فيك! إنها رحمة أننى لم أصب بأذى! وكل ما لدى هو مجرد صدمة، واستطيع التغلب عليها بسهولة. هل هناك كاراج فى القرية؟

فضحكت بمرح:

لا تكن سخيفاً. .هذه ليس قرية من ذلك النوع! اقرب كاراج يبعد ثلاثة أميال. في بلدة (براكوارث)

هذا يكفى!

ولكنه شاركها الضحك. فقالت له:

إجلس هنا وسأجلب لك بعض الشاى الساخن.

وجلبت الشاى، وكان مفعوله أقوى من المشروب. . كان وسيماً نحيلاً، ولكن دون أخاديد أو حفر فى وجهه لأنه شاباً. . وكان فيه توق الشباب، مع كل تلك الأحلام التى لم يكن تشارلز ليفكر بها. . لا يجب عليها أن تقارنهما. . فهى تعرف أخطار المقارنة، وأخطار مخاوفها. إنها تعيش فوق بركان يمكن أن ينفجر فى أية لحظة، ولن تستهين أبداً بقوته وشراسته، والمقارنة قد تكون الفتيل لأشعال الديناميت.

كان حديثه عادياً، مسلياً، ودائماً يضحك، وهذا يختلف تماماً عن أحاديثها العادية. كان مؤلفاً، وليس جائعاً فى سقيفة مهجورة. فهذا لم يعد حال المؤلفين فى هذا القرن.

أتؤلف كتباً؟ هل أعرف شيئاً منها؟

وأعطاها عنوان كتاب تعرفت إليه، فقد قرأته. . تشارلز دعاه بالنوع (العصرى) فهو يكره العالم العصرى الحديث ولم يتزحزح مع المد الذى حدث فيه.

لقد قرأت ذلك الكتاب. . ولكن زوجى لا يعجبه، ومع ذلك قرأته.

زوجك رجل دين عادى. . له زوجة غير عادية.

ربما يكون تشارلز يتصرف مع الحياة بشكل رسمى.

ألا يجب أن يعيش الكاهن حياته كى يستطيع خدمة الكنيسة؟

ربما تكون على حق! هل تريد مزيداً من الشاى؟

شكراً. . لا . . أشعر بأننى أفضل بكثير. . حتى اننى عدت كما كنت! والآن ماذا سأفعل بخصوص السيارة؟ هل لديك هاتف؟

أجل بالطبع. ورقم هاتف الكراج واسم من يديره. ولكننى أظن أن الوقت متأخر، لقد قاربت الساعة السادسة. سأتصل به حالاً.

وخرج إلى الردهة، وسمعته يتحدث. . العجيب إنها تتمتع بما يحدث كثيراً. . ثم عاد.

إنه لطيف جداً. وسيرسل أحداً ليصلح السيارة فى الصباح الباكر. لقد ذهب كل عماله الآن. هل هناك فندق استطيع أن أبات فيه هنا؟

قرية بلاك صغيرة وليس فيها فندق.

وصمتت. . هل تجرؤ على أن تطلب منه البقاء هنا؟ الحكمة تقول لا. . وكان هذا بمثابة جرس إنذار يرن فى قلبها، وجبنت عن اتخاذ أى قرار. وعندما فتح الباب ودخل تشارلز. قائلاً:

ها أنا وصلت يا عزيزتى.

والتقت عيناهما، وأحست فجأة بالأرتباك. وقالت له:

هذا تشارلز، زوجى. . وأنا لا أعرف حتى اسمك.

إسمى كلايون ستيفنز. . ظننت أننى أخبرتك؟

لا. لم تفعل.

ودخل تشارلز الغرفة بمزاج مرح، فكل شئ كان كما يشتهى فى الأجتماع. وأخبراه ما حدث، فقال ما كانت تتوقعه تماماً:

يجب أن تبقى الليلة هنا. لدينا غرفة نوم إضافية للضيوف. وسيكون هذا نوعاً من الضيافة لكلينا.

وتركتهما معاً لتغسل أشياء الشاى، ولتلقى نظرة عما لديها لأجل العشاء. وحضرت العشاء وأدخلته إلى غرفة الطعام، حيث الرجلان كانا متفقان على أحسن ما يرام وكأنهما يعرفان بعضهما طوال حياتهما. . .

وحضرت المائدة فى أجمل صورها، وعندما شاهد تشارلز ذلك قال معلقاً:

إذا أنت تقيمين احتفالاً!

لقد فعلت ما باستطاعتى.

وقال كلاين:

هذا عظيم. . رائع. . لقد كنت أظن أن بيوت الكهنة جافة خاوية. . وها أنا أقع على هذا! لقد اخترت المكان المناسب.

وقالت له:

ماء الحمام لن تكون حارة الليلة.

لا بأس. أفضل دائما (الدوش) البارد. . يقولون أن الصدمة مفيدة للصحة. ووافق تشارلز على كلامه. . ولكنه لا يمكن أن يأخذ (دوشاً) بارداً بنفسه. مع أنه يشجع

الرياضيين على هذا. .

وهم جالسون على المائدة يتناولون العشاء ويتحدثون بمرح. قرع جرس الباب بإلحاح. وذهبت فيل لترد، ووجدت هناك آدم:

آسف يا سيدتى. . لقد وقع حادث، ويريدون السيد لويس هناك. ابن مايك كورن دلق على نفسه وعاء ماء مغلى، وحروقه بليغة.

كم هذا مريع! سيحضر السيد لويس فى الحال. هل تريدون رباطات؟

لقد أحضروها. ولقد اتصل ولدى هارى بسيارة الأسعاف، إذ يجب نقله إلى المستشفى ووالدته معه، وهى تنتظر مولوداً فى أية ساعة الآن.

سأقول لزوجى.

ونادته، فخرج من غرفة الطعام، وارتدى معطفه فوراً، وسار مع آدم، ولم تدرك فيلوميل أن تشارلز قد يذهب معهم إلى المستشفى. وسيتأخر. . وكانت ترتجف وهى تخبر كلاين ما حدث.

أنا آسف كنت آمل أن يكون وصولى لطيفاً.

إنه كذلك. . فعلا. . لولا الطفل الذى احترق.

هل لديكم بعض المشروبات.

لا. . لقد أعطيتك آخر ما عندنا!

يا إلهى! كم أنا آسف! لابد أن هناك سيئاً منه فى سيارتى. هل لديكم مشعل؟

وأتت له بالقنديل، وخرج الشاب إلى السيارة، بينما نظفت هى الطاولة، لن تغسل الصحون لأن الخادمة ستأتى صباحاً. وبعد لحظات عاد كلاين ستينغز و زجاجة مشروب فى يده. فقالت له:

بيدو لى وكأنك من النوع السكير.

اوه. . بالفعل! الآن ستشاركينى القليل منه. وتوقفى عن القلق حول الطفل الصغير. الأطفال كالقطط لهم تسعة أرواح!

وهل لديك أطفال؟

لست غبياً لأتزوج. أتظنين إننى لا أعرف متى تبدأ مشاكل الحياة؟

ورأى أنها دهشت وقد أخذت كلامه على محمل الجد، فأضاف:

كنت أمزح. . لا تكدرى نفسك. . يوماً ما عندما التقى بالفتاة المناسبة سأتزوج. . ماذا حصل للأطباق الوسخة؟

لقد وضعتها فى المغسلة.

إشربى ما بيدك وسوف نغسلها معاً! أنت تغسلين وأنا أنشف.

تشارلز لا ينشف أبداً. . إنه يكره هذا.

ليس كل الرجال مثل تشارلز. . هيا. . إشربى. .

وأحست بأنها أفضل حالاً، ومختلفة أيضاً. من السخافة أن ننظف الصحون فى وقت ستأتى فيه الخادمة صباحاً.

هذه سخافة!

هراء. . حياتنا للتنظيف!

ودخلا المطبخ، وتناول منشفة من خزانة الشاى، وكان واضحاً إنه معتاد على مثل هذا الروتين. وغسلت الصحون ونشفها هو. وكان بارعاً جداً فى عمله، وفى

الواقع تعلمت منه الكثير فى هذا المجال. وعندما انتهيا، قدم لها سيجارة من علبة مذهبة.

تشارلز لا يعجبه أن أدخن.

تشارلز ليس هنا. فهل يهم؟ أنت بحاجة لشئ يريح أعصابك. والآن من منكما يرتب الفراش؟

فضحكت، وسألته:

ومن رباك؟

والدتى. فأنا طفلها الوحيد. وطالما أرادت فتاة. وكان على أن أساعدها فى الأعمال المنزلية. . هيا بنا نحضر الفراش، ضع هذا فى المغسلة وهذا فى الغسيل إحضر بعض الفحم. . أنت تعرفين الروتين.

ألم يجعلك هذا مخنثاً.

يتهمنى بأحد بأننى مخنث من قبل!

وللحظات كانت العينان اللوزيتان غاضبتان منها، كانتا عينا رجل يبحث عن تجاوب فى نفسها. وتمنت لو لم تقل ما قالته. فقد كانت تخشى أن تخترق عيناه سرها لتسيران مباشرة فى نفسها، ويرى المرأة التى تبكى فى

الليل، وفجأة تذكرت المنزل الكريه فى (كرونويل) وتلك المرأة العجوز الكريهة التى كرهتها كثيراً، والفراش المتلبد، وتشارلز، وشخيره. . لا يجبان يعرف شيئاً عنى!.. وقالت بسرعة:

لنعد إلى غرفة الطعام.

وما الذى أخافك؟

لا شئ. لا شئ إطلاقاً. . بالطبع.

وسارت أمامه.

لا شئ من هذا كان يجب أن يحدث، هذا ما حدثت فيلوميل نفسها به فيما بعد. . فقد كان هذا أحد الخدع الظالمة التى يقوم بها القدر. واحدة من تلك التطفلات السمجة التى تتسلل إلى حياة الأنسان، وتفسدها عليه. كانت تظن أنها آمنة، والآن تعلم إنها ليست كذلك أبداً. كانت قد آمنت بوجوب أعماء بصرها عن الحياة، والحب معاً. وحاولت أن تتخيل إنها تقطع هذه السنين فى بيت الكاهن فى الريف دون أن تتاكل فى العمق. هذه القرية صغيرة جداً، ووجهات نظرها محدودة، وأحست أنها

وحيدة يائسة.

تشارلز كان طيباً معها على طريقته. . كان ظنه بها أنها طفلة وسوف تتحسن مع الزمن، وأن تؤنب، وتوعظ أحياناً، وفى أوقات أخرى تدلل. لم يكن ليقبل بأنها تمتلك أية معرفة، ولا شجاعة، ويصرف النظر عن ذلك بقوله (أنها حقاً لا تعرف. . كيف يمكنها أن تعرف؟) ربما من الأسهل تحمل الزواج هكذا، لأنه يضعه فى موضع متفوق، ويبقى هو الرجل و المسؤول. إنها أصغر من أن تتقبل الزواج بالطريقة المعروفة، وهذا التصرف كان عذره الوحيد.

مرة، وبعد إحدى المشاجرات الحامية بينهما عندما بكت فيلوميل وأخرجت كل ما فى قلبها، واجهت تشارلز باتهام بأنه يحرمها من حقها الطبيعى بأن تكون أماً. واشتعل غضباً. وتمسك بحقوقه أن عليه أن لا يتكلم مع فتاة تفكر هكذا! فالأولاد يأتون من عند الله. . وذهلت لهذه المناقشة، حتى أنها حدقت به ولا حول لها، ولكنه لم يكن خجلاً أو مرتبكاً مما قاله. وكأنه يؤمن بأن هذه هى الحقيقة. ولم يكلمها ليومين بعد هذا. وأصبحت سقيمة إلى درجة اضطرته إلى استدعاء الدكتور ميرديث

ليفحصها. ومرضها تشارلز بحنان، وكأنه المرأة، ولن تنسى أبداً عطفه عليها. وأخذت تفكر به. . رجلان متناقضان فى رجل واحد.

ثم أقبل كلان ستيغنر ليظهر فى الصورة.

تلك الليلة الأولى، بقيا يتحدثان إلى وقت متأخر، ورجع تشارلز وشارك فى الحديث، وذهبت فيلوميل إلى الفراش، واستلقت طوال الليل تستمع إلى شخير زوجها. . وفكرت كثيراً بكلان ستيغنز. . فعلى كل الأحوال من المنطق أن تلاحظ بأن أول رجل وسيم من عمرها يدخل إلى حياتها لا بد أن يثير قلقها. لقد توقفت عن حب تشارلز، وربما حتى أنها توقفت عن حب الحياة نفسها. . وكان هذا الشاب شيئاً مختلفاً فى حياتها.

ولم تفكر أبداً أنها ستقدر أن تنام. . ولكن ما أن حلت الساعة الثالثة حتى غطت فى النوم واستفاقت فى الساعة التى اعتادت عليها. وقفزت من السرير، فعليها أن تعد الفطار، وبطريقة ما أرادت أن يكون هذا الفطار أجمل ما في حياتها.

وحضرت البيض المخفوق، أنها تجيد صنعه دائماً. وكانت مشغولة بتحضيره عندما دخل كلان المطبخ يسأل عما إذا كان هناك شئ يستطيع المساعدة فيه وسألها:

ماذا تطبخين؟

البيض المخفوق (اومليت) واحدة لك منا، تستطيع أخذ حصتك ساخنة إذا أحببت. ولكن انتبه إنها ساخنة جداً.

رائحتها لذيذة.

وبانت السعادة فى عينيه، وفكرت فيلوميل: الطعام هو دائماً أفضل من المرأة عند الرجل. . وقالت له:

تفضل معها البندورة أم بهارات الأعشاب؟

بل أفضل البهارات. إذا كان هذا لا يزعجك.

وحمل طبق التوست واخذه إلى غرفة الطعام ثم عاد ليأخذ طبق الزبدة الطازجة، ثم وقف قربها يراقبها وهى تقلى البيض، ثم تقلبه للجهة الأخرى. وصاح فرحاً:

هذا عظيم! أتسال ما إذا كان زوجك يعرف كم هو محظوظ لحصوله على زوجة جميلة مثلك وساحرة وتستطيع صنع أومليت لذيذة أيضاً!

إنه يعرف، كما أعتقد. .

ولكنها لم تقل هذا بحماس، فهو موضوع خطير، وأردفت:

هذ صحنك، وهذا لتشارلز، انتظر لأضع البقدونس على الوجه. . طعمها يختلف مع البقدونس.

أنت نابغة فيلوميل، نابغة ولك اسم جذاب.

ودهشت لأستخدامه اسمها مجرداً، وارتعدت من أن يرى احمرار وجهها. . غرفة الطعام تكون مشرقة فى مثل هذه الساعة، الساعة الوحيدة التى تدخل إليها الشمس. وهذا ما نجعل المائدة تبدو مختلفة.

وقال تشارلز:

لقد وصلتنى مكالمة. . سأكل هذا ثم أذهب بسرعة. لقد حصل حادث آخر. شئ له علاقة بعربة من العربات الجديدة التى أتوبها إلى القرية. والحصاد دائماً يأتى بالحوادث. ولا أظن أن الحادث سئ ولكنهم اتصلوا بى.

ولكن أنهى (الاومليت) أولاً.

أجل بالطبع سأفعل.

وتكلم كلاين أيضاً.

لقد ذهبت لألقى نظرة على السيارة هذا الصباح، ولا أعتقد أن بها سوءاً كما ظننت. وكان عامل الكراج هناك. وهو يصلحها بسرعة.

وماذا سيفعل؟

سيجرها إلى كاراجه. . وسأذهب إلى هناك فيما بعد.

فقالت له:

بإمكانى إيصالك بالسيارة.

وخرج تشارلز إلى الحقول. . وبقى كلاين وفيلوميل على طاولة الفطار لمدة طويلة ورائحة (التوست) الخبز المحمص والقهوة تملأ الغرفة، والشمس ترسل أشعتها إلى الداخل، ومنظر الوادى يبدو رائعاً من خلف النافذة.

وكأنما قرأ أفكارها، فسألها:

ألا تجدين المكان مميتاً عندما يحل الشتاء.

لست أدرى حقاً. فأمامى دائماً الكثير لأعمل فيه. . شراء الأشياء للناس، ترتيب بعض الأشياء الأخرى، الميلاد. وبطريقة ما تسير الأمور على ما يرام.

وبدأ يشرب فنجان القهوة الثانى.

هل اخترت بنفسك أن تكونى زوجة كاهن؟ أم أن هذا حدث صدفة؟

قد حدث صدفة، كما أعتقد.

وتوترت أعصابها، وكانت خائفة أن يظهر هذا عليها، وعلمت بأنها تشك فى الناس دوماً، وخاصة من هم من خارج حياتها. أنها تشك فى الدكتور ميرديث لأنها شاهدت مرة نظرة مريبة فى عينيه. وحتى أنها تشك فى آدم العجوز. . أنها ضائعة فى بحيرة من الشكوك ملفوفة بها، ممزقة بها. . وربما على المدى الطويل ستغرق بها. وسألها كلاين وعيناه تتفحصان وجهها:

وهل تحبين هذا العمل؟

أجل أعتقد هذا، فأنا أحب الناس. عليك أن تلتقى بآدم العجوز قبل أن تذهب. إنه يأتى ليقوم بالأعمال الغريبة هنا، وهو فوق الثمانين. إنه أب القرية وربما الرجل الذى يعرف أكثر شئ عنها.

ونظر إليها ثانية. . وثانية خافت أن تكون قد كشفت شيئاً تريد أن تبقيه سراً. وقال وهو يبتسم:

إحذرى، آدم العجوز لا يعرف كل شئ. . هل كان هنا طوال حياته؟

أجل . . وكبار رجال القرية يعيشون كثيراً، كما يبدو. والبيوت هنا تتوارثها العائلات كما فى البيوت الكبيرة.

أنت تجعلين هذا يبدو ساحراً.

ربما يكون ساحراً بالفعل. تعال إلى الخارج وقابل الرجل العجوز.

أى شئ لتحصل على قليل من الراحة، أى شئ لتهرب من الحديث بينهما. والتقيا بآدم وهو يدخل فناء الأسطبل، ومعه غداءه مربوط بمنديل كعادته دائماً. ونظر إليهما، ثم خلع قبعته القماش:

صباح الخير سيدى صباح الخير سيدتى.

فقالت بسرعة:

إنه صباح جميل يا آدم. أراد السيد ستينغز أن يقابلك، سيارته تعطلت قرب الطريق ليلة أمس. حصل حادث مزعج، وهو يريد العودة بسرعة إلى لندن.

ولكن شارعنا ليس على طريق لندن.

لا. . بالطبع لا.

وقال كلاين. . وهو يمد يده له بعلبه السكاير:

كنت أحاول اختصار الطريق، وانتهى الأمر بى إلى هدر الوقت الطويل. . تفضل واحدة من هذه.

ووصلا إلى السيارة، وكان لفيوميل شعور بأن هناك شيئاً لم يعجب آدم، ويرتاب فيه. . ولكن ربما هى من ترتاب بنفسها. وقادت السيارة بسرعة، تريد الأنتهاء من هذا الأمر، وأن تضعه خلف ظهرها إلى الأبد. ولا بد أن كلاين لا حظ هذا، فقال:

هل تريدين التخلص منى بسرعة؟

كم أنت سخيف!

والدتى تقول أن لى موهبة فى النظرة البعيدة. أنا لا أريد الخلاص منك فيلوميل. . وسأعود لأراك.

وأحست بالأثارة، فى وقت كانت كل الأمكانيات تبرز نفسها. وأخذت عيناها تتراقص.ولكن نصف تفكيرها كان خجلاً، ووصلت السيارة إلى الشارع الرئيسى وأمامهما

إلى البعيد استطاعا رؤية الكاراج القبيح ومضخات الوقود كأنها (الخفر) أمامه. وأبطأت سيرها، فقال:

هذا أفضل. ز أردت أن أتحدث إليك.

أسفة. ولكن ليس أمامنا الكثير من الوقت. . لدى. . الكثير من الأشياء لأعملها.

أعرف. . ولكننى أردت أن أشكرك على لطفك، وأسألك إذا كنت أستطيع العودة لرؤيتك قريباً؟ أستطيع هذا، أليس كذلك؟

وقال قلبها. . لا. . وتمنت أن لا يحمر لون بشرتها. وحضرت نفسها كى ترفضه. ثم وجدت نفسها وبكل غباء تقول:

أرجو أن نفعل هذا.

آدم لم يعجبه ما رأى، وصلى بأن لا يكون شئ مما شك فيه قد ظهر عليه. وعادت فيلوميل، ووضعت السيارة فى الأسطبل القديم. ثم دخلت المطبخ، وعادت وهى تحمل فنجان شاى له مع قطعة (كايك). ومع أنها كانت كعادتها، إلا أن آدم عرف أنها قد تغيرت.

المزرعة الحمراء

وأنهى آدم عمله باكراً، وبدأ يسير باتجاه منزله. فى الكوخ كانت زوجة ابنه قد أعدت له الشاى. . فى الواقع إنه محظوظ بالنساء الذين عنده، مع إنه لا يأمل كثيراً لا بليديا ولا بشقيقتيها هيلد ومابيل.

وأقبلت ليديا

لقد أحضرت تلك الفطيرة يا جدى!

فتاة طيبة.

ومد يده ليخرج حافظة نقوده الجلدية التى اشتراها له هارى من البلدة السنة الماضية. وانتظرت ليديا، ونظر إلها ليجد إنها كانت تبكى ثانية. فسألها:

ماذا بك؟

أصابنى رشح.

بل كنت تبكين.

لدى مشاكلى الخاصة.

أهذا بسبب هيوغ! إنه فتى جميل الطلعة، وأنت تحبيه؟

وحدقت به مذهولة، لون وجهها يذهب ويعود، ومدت يدها لتأخذ المال الذى أعطاه لها. ثم قفزت الدموع من عينيها وغلبتها طبيعة نفسها على النفس التى حاولت أن تكونها، وقالت:

أجل. . أحبه. . ولكنه يطلب الكثير.

لايطلب أكثر مما يطلب أى شاب، ولكن بعضهم لديه الكرامة بأن لا يطلب. .

وانفجرت بالبكاء، وأخبرته قصتها. . ولماذا فعلت هذا. . وماذا ستفعل الآن؟ هيوغ يحبها. ويريد الزواج بها، وهى تحبه بيأس، وتحب الحياة والحب نفسه. وبكت بقوة، وأحس العجوز باللم لرؤيتها حزينة هكذا، وفى النهاية قال لها:

لا تعذبى نفسك يا ليديا. . هذا أمر يحدث لكل فتاة جميلة. واكثر من هذا، فهناك وسيلة للخلاص. فاللرجال

يرغبون فى الحصول على أى شئ. ستتعلمين هذا أيضاً. والطريقة للتخلص منهم إلى الأبد هو إعطاءهم ما يريدون. . تذكرى هذا.

وغطت وجهها بيديها وأسرعت خارجة من المطبخ. وسمعها تنتحب وهى تقطع الباحة. . الطفلة المسكينه! الطفلة الصغيرة المسكينة! وتذكر أيمى كنغزتون، وكم أرادها، وكم عانى من أجلها. ولقد ماتت العاطفة هذه بسرعة، ولكنها تركت جرحاً فى نفسه.

وانهى احتساء الشاى.

وخرج إلى الشارع متجهاً إلى (المزرعة الحمراء) حيث يسكن هيوغ بارتون. فهو حتى الآن لم يشارك فى واجباته. وكان محظوظاً فقد وصل إلى هناك وهيوغ يحاول الخروج وقد ارتدى أبهى ثيابه. . فقال له آدم:

أريد تبادل كلمة معك.

أنا خارج لتوى.

ارى هذا. ولكننى أريد كلمة معك.

وسد آدم عليه الطريق. فقال هيوغ بصفاقة:

فى الواقع أنا ذاهب لمقابلة حفيدتك.

ونظر إليه آدم متفحصاً بخشونة.

أعلم. لقد تركتنى لتوها. ولذا تستطيع توفير دقيقة لى. أريد الحديث حول ليديا. . إنها تقلقنى.

ولكنها على ما يرام. . أليس كذلك؟

إذا سألتنى أقول لك إنك لست الشاب المناسب لها، وعليها ان تقلق.

وكان يتوقع أن يكون هيوغ بذيئاً، ولكنه تمنى أن لا يكون، وقال هيوغ ببرود:

لست أدرى ماذا قالت لك ليديا، ولكن فيما يتعلق بى لم يكن ما جرى بيننا أكثر من غزل عادى. فهذه القرية مملة، وأردت شيئاً أتسلى فيه. على كل ليديا ليست من طرازى.

سيكون ذا حظ لعين لو أن ليديا كانت من طرازك! أنا أطلب منك أن تتركها وشانها!

وكان قد استشاط بالغضب، فأجابه هيوغ بوقاحة!

اوه. . أقفل فمك!

وتابع آدم:

حسناً. . ابتعد عنها. . لقد تم بينكما ما يكفى من لقاء فى (درب العشاق) اللعين، وهذا لا يعجبنى. ز وهذه النهاية، و لا شئ غير هذا!

هل هى أرسلتك؟

لا. . لم تفعل. . إنها لا تعرف إننى سآتى إليك. ولكن وجهها الجميل متورم من البكاء وأنا لا يعجبنى أن أراها هكذا.

وقال هيوغ منتقداً بخشونة:

لم أكن لأفكر بأنك قد تزعج نفسك. فأنا لا أزعج نفسى!

وفجأة انفجر بسلسلة من الشتائم، واستمع إليه آدم لدقيقة وعيناه تقدحان شرراً، وهو يصر بأسنانه. ورفع عصاه وأمسك بهيوغ بارتون من رقبته وجذبه إليه ثم دفعه إلى الأرض يتدحرج ببذلته الأنيقة فى بركة وحل للخنازير قريبة من مكان وقوفهما. ثم سار متثاقلاً. . هذا سيعلمه درساً! وضحك وهو يسرع الخطى فوق الطريق، ولكن كان له التفكير السوى كى ينزوي مختبئاً فى دغل شجيرات. ومن هناك سمع هيوغ بارتون يقسم بأن سيقتله، وكان ينظف نفسه ويجرجر رجليه فوق الطريق مقسماً بالانتقام. وغير آدم اتجاه طريقه، وعاد الى منزله

من باب الحديقة الخلفى. . واختفى قليلاً فى الظل ليتاكد أن كل شئ على مايرام. ثم تسلسل ليدخل داره. وأقفل الباب وراءه بالمدلاة. . وبدا له أن هيوغ لم يلحق به ذهب لينظف بذلته الأنيقة.. وهذا سيستغرق وقت و جهداً.

هذه الليلة، ستنتظر المسكينة ليديا فى درب العشاق، ولن يأتى هيوغ. ولكن آدم يعلم أن هذا أفضل لها بكثير. وأفاق فى اليوم التالى قبل طلوع النهار كعادته.

وخرج إلى عمله، ووصل إلى بيت القسيس، وشاهد السيارة خارج موقفها العادى. وهذا يظهر أن واحداً من الزوجين كان فى الخارج وهو يمر قرب نافذة غرفة الطعام سمعهما يتحدثان. وكان تشارلز يقول:

أنت طفلة مدللة. . وأنت لا تعرفين شيئاً عن العالم أو الناس. . ومع عليك أن تعطينى رأيك فأنت فتاة صغيرة وسوف تكبرين يوماً.

وكان فى صوت فيلوميل بعض التحدى و الألم. ألم لم يعجب آدم أن يسمعه:

أنت مخطئ تماما، ولا تدرك هذا. أنت الطفل الصبى الصغير الذى لم يكبر أبداً.

ولم يجرؤ آدم على الأستماع إلى المزيد. فلهجتها أجفلته، واستدار ليكمل طريقه إلى خلف المنزل. من العجيب أن يفكر. بالقسيس كصبى لم يكبر أبداً، ولم يعرف لماذا، فالسيد لويس رجل طيب، ولكن آدم لاحظ أن أفكاره صبيانيه أحياناً، وضعيفة فى شكل ما، حتى إنها نسائية، وبدرت له فكرة، أربكته. . وتوسعت وكانت حول شئ لم يرد أن يفكر فيه.

أهناك شئ على فيلوميل الصغيرة أن تتحمله كما هو يعتقد؟ الجواب على كل هذه المشاكل يكمن فى طفل، وتمنى لو أن هذا الطفل يأتى. . القرية سوف تشترى له مهداً كما اشترت للسيدة ديكسون التى كانت هنا من قبل.

ولكن. . افترضاً أن ما كانت تقوله صحيح. . والسيد لويس لا يزال والداً صغيراً، وهى لم تكن؟. .

ورفض أن يفكر بالأمر!. .

وأنهى عمله الشاق دون أن يعود للتفكير بالموضوع، ربما لأنه لم يسمع المزيد. وعندما عاد إلى كوخه وجد ابنته جوان تنظف، وكانت سعيدة لأن ميريام هوكنز قد عادت إلى منزلها، واعتقد أنها لم تكن مسرورة من

الروابط البيتية ولا من غرفة نومها هنا، وهذا ما أله. . وتساءل كيف لأية فتاة أن تنقلب هكذا على منزلها. . .

وتمنى لو أن حياة القرية لم تتغير بسرعة هكذا، وبكثرة. مع إنه من الجيد التخلص من ذلك الفقر القاسى، والخوف من الشيخوخة، ومن أن يوضع العجوز فى (الملجأ) فمما سمعه عن ملاجئ العجائز. بعضها ليس جيداً كما يجب. إنه محظوظ لأن عنده بيت، يستحم ساعة يشاء، ولديه دائماً الثياب الجيدة، وهذا ما يجعل الرجل يشعر بالفرق فى حياته.

وأخذ ينظف حذاءه. . كان يعتنى به بشكل خاص، وسمع دقاً على الباب الخلفى ثم صوت مألوف يسأل:

هل أستطيع الدخول يا أبى؟

أدخل يا هارى.

ونظر بفضول إلى ابنه، لم يكن من عادته المجئ فى مثل هذا الوقت.

ما الأمر؟

وجلس هارى فى كرسى صغير مواجه لأبيه، وراقبه

وهو ينظف الحذاء. ثم قال:

إنه حول ليديا.

ألم تتوقف عن الخروج مع هيوغ بارتون؟

تقول هذا. ولم تعد تخرج ليلاً. . ولكنها دائماً تشعر بالغثيان.

ونظر الرجلان إلى بعضهما. . . هناك نوع واحد من الغثيان يعرفانه، وقال آدم مذهولا بعد لحظة:

أه!

لم أكن أفكر بأنها قد تفعل شيئاً كهذا.

ولكن. . هل فعلت؟

إنها تشعر بالغثيان.

الرعب من هذا الكلام كان بقساوة ريح آذار... وشرح هارى أن الأمر سيكون صعباً، ولقد فكر بالذهاب إلى القسيس لطلب النصيحة، فلا بد أن السيد لويس سيساعده. ولكنه تراجع لأن السيد لويس ليس لديه أطفال، والقرية كلها، سراً، تعتقد أن هناك شيئاً غريباً حول قسيس لا يكمل واجباته وينجب طفلاً منذ أول سنة زواج،

وآل لويس مضى على زواجهما وقت طويل. وقال آدم:

أجل. . .

الأمر مقلق، ولقد أزعجنى كثيراً.

ولست تدرى بعد إذا كان صحيحاً.

والدتها سألتها، وردت عليها بلؤم.

آه. . ولكنهما دائماً هكذا. . منذ متى بدأت تخرج معه؟

وفكر هارى أن هذا تم فى أواخر الحصاد. وذلك فى أواخر تموز. . ولقد دخل أيلول الآن.

وهل تحدثت معها؟

فكرنا. . إنك. . ربما أنت. . ؟

أنا. . ؟ إنها لا تحب أن أزعجها، وهى ابنتك. .

أجل. . ولكن علينا أن نعرف. . ربما تستطيع جوان أن تسألها؟ لقد كانت جوان دائماً لطيفة مع الطفلة.

حسناً. . جوان لن تسألها.

ولم يكن آدم يرغب فى أن تتألم ليديا، فلو أن أحداً قد بدأ يضايقها بالأسئلة فهذا ما سيحدث.

ولكن علينا أن نعرف!

آه!

ونفخ آخر نفخة على حذاءه ثم مسحة بالخرقة، وقال:

حسناً إذاً، سوف أسألها بنفسى.

الأمر أسهل عليك، لأنك طاعن فى السن.

لو سألتنى لقلت لك أن لا شئ سهل، وخاصة لأننى عجوز. فالأمر. صعب جداً على، وكأنك تقتلع الظفر من أصابعى.

وودع آدم ابنه.

وظل يفكر بأمر سؤال ليديا إلى أن أوى إلى الفراش، وهكذا تخلص من المشكلة بالنوم. ولكن عند الصباح عاد يتذكر وعده، وأحس بالكدر ثانية. وخرج إلى منزل آل بينيث ليعتنى بمساكب الخضار، ثم ذهب إلى بيت القسيس حيث نظف الأسطبل. وهو يعمل أخذ يحس أكثر بالأرتباك من المهمة التى أمامه. من المؤكد أن (مود) تستطيع سؤال ابنتها؟ فهذه وظيفتها، وليس وظيفته. . فلماذا قال إنه سيفعل؟ ولكن بما إنه قال إنه سيفعل، فسوف يفعل. وعاد ببطء إلى منزله، ولم يستلذ بتناول الشاى.

ووصلت ليديا بعد ساعة من الزمن. ووصلت إلى زاوية الباب، وأول مفاجئة له، إنها غيرت تسريحة شعرها وأصبح لونه بنياً. فقد ولدت شقراء. وأصبح شعرها فضياً فيما بعد، والآن، أن يصبح بنياً، فهذا ما أرعب آدم، ولكنه لم يقل شيئاً. . وتجاهل هذا. وقال:

اتتناولين فنجان شاى معى؟

أشعر بتوعك ياجدى، والطعام يجعلنى أشعر بالغثيان.

الطعام يجعلك تشعرين بالغثيان؟

وأحس بالدهشة، فهناك نوع من الغثيان لا علاقة له بالطعام وهذا ما يسعى للسؤال عنه.

ومنذ متى يحدث لك هذا؟

يجئ هذا مع نوبات، وهناك هذا الألم فى خاصرتى.

ولمست ما تحت خصرها، وبدت نحيلة أكثر، وهذه إشارة سيئة. . . وسألها:

وما نوع الألم؟

ليس له علاقة بنوع الطعام. فأنا أخاف من أكل أى شئ.

ثم قالت شيئاً علم أنها كانت تموت شوقاً لتقوله:

أنا أعرف ما تظنه والدتى.

وهل ما تظنه صحيح؟

لا. . ليس كذلك. . لقد كان هيوغ رهيباً معى! إنه لا يحب الشقراوات، بل يحب من شعرهن أحمر. ولهذا أبدلت لون شعرى.

آه. . !

لقد طلب منى مراراً. . وهو ليس بطيئاً فى تقدمه، ولكن أمثاله دائماً هكذا. أليسوا كذلك؟ أمى تصيح ووالدى غاضب منى . ولكن الأمر ليس كما يظنون. فلست غبية لهذه الدرجة. أريد بالطبع. . ولكنه يستمر فى طلب أن يختبر حبى.

هذه معزوفة قديمة.

وابتسم آدم و أخذ قطعة بسكويت أخرى. . إنه يثق بهذه الفتاة وبكل ما تقوله. وبكت قليلاً، وهذا لن يؤذيها، ولكن عندما اقترح أن يفحصها الدكتور ميرديث قالت

إنها لا تحب أن يلمسها، وليس له شأن بها. ولو طلب رأيها به فستقول أن عمتها جوان هى من تلاحقه. وهذا الكلام أذهل آدم العجوز، فهذه أخبار جديدة عليه.

هذا الكلام كذب. . إذا كان هناك كلام.

من يعيش أكثر سيكتشف الحقيقة، أو الكذبة.

وعاودها الألم فجأة، وجعلها تتأوه، وراقبها وبعد لحظات شهقت قائلة:

عندما يأتى الألم أحس أننى سأموت. يمسكنى تماماً فى الوسط. إنه فظيع. .

واختفت بعد هذا. وجلس آدم يحدق فى حقيبة النابلون التى تحتوى على فطيرة اللحم والبيض، إنها فتاة لطيفة، مع إنها تكلمت بذلك الهراء عن عمتها والطبيب. . وانتظر قليلاً لتبتعد ليديا، ثم خرج واتجه إلى منزل هارى. المشكل مع ولده إنه لم يرث قوته. فهو مطيع لأمرأته وأمرأته وبناته هن من يسيرنه. ومن طبيعته الطيبة أن لا يقول لا.

وكانت العائلة مجتمعة، حتى ليديا، وكانت عيناها حمراوين ودلائل البكاء تشق طرقاً على خديها. وقال آدم إنه قدم ليرى هارى بخصوص سلة كبيرة قديمة بحاجة لأصلاح، ثم خرجا ليقفا قرب مستودع الحطب ويتكلما. وقال:

أريد الحديث عن ليديا. . الفتاة مريضة ويجب أن يراها الطبيب.

ولم يكن هارى مستعد لأن يوافق على هذا، وعلم آدم أن «مود» هى من أثرت عليه، أسوأ ما فى النساء دائماً تحاولن التأثير على الرجل. وقال لأبنه:

إنها ليست حامل. . وأنا واثق من هذا. ولكن ليديا يجب أن تقابل الطبيب. . فشئ ما يزعج معدتها.

وكان كلام آدم جازماً. . فقال هارى:

حسنا سأخبر (مود) ما قلته. . ولكن لن يعجبها هذا.

وصاح آدم بحزم أكثر!

آه! هناك تأثير كبير لمود فى حياتك، لو تسألنى. . قف على قدميك لوحدك يا ولدى، وليكن نظرك أفضل من هذا.

فالزوجة الطيبة، تبقى أوجه طيبه ولكن كلهن (نفاقات). ولكن إذا لم تحضر طبيباً لا بنتك فستجد نفسك فى ورطة سريعاً. وورطة أكيدة، وسيكون أنت من يتلقى الملامة.

وتركه وخرج من السقيفة، لعلمه أنه قال ما يكفى، وأخذ ضباب النهر يهزه قليلاً وهو يسير نحو بيته.

ولكن، بعد يومين، وكان الدكتور ميرديث فى زيارة السيدة هوكنز، حضر هارى بسرعة ليقول له أن ليديا أغمى عليها فى المطبخ، ولا شئ يوقظها. حاولوا صفعها، وحرقوا امام أنفها ريشة ديك. .

وحضر الطبيب ليجد ليديا مستلقاة على الصوفا فى غرفة الجلوس وقال لمود:

لماذا لم ترسلى بطلبى من قبل؟

زوجى كان مشغولاً!

ولم تكن مود من النوع الذى يتقبل الملامة، ومرر الطبيب يده فوق جسد ليديا.

إنها الزائد، ويجب إن تستخرج. . واليوم.

وأصبح لون مود أبيضاً كالورق مع رعب بارد:

اوه. . ياإلهى!

وقد يكون الدكتور شاباً، ويلبس الثياب الغالية، ولكنه يقوم بعمله جيداً، فأرسل مابيل كى تتصل بسيارة الأسعاف.

لا تعطوها أى شئ قبل حضور الأسعاف. . ولا أريد أن تعطوها أى مسهل، فأنتم تؤذون أنفسكم بهذا.

وعزت مود نفسها بالأعتقاد بأنه لا يعرف شيئاً. فمعظم هؤلاء الأطباء لا يعرفون شيئاً حقاً. وهى تعلم أنهم إنما يصعبون الأمور ليخيفوا الناس. وهى لن تعترف بأنها أعطت ابنتها ما يكفى من أقراص دواء حتى الآن، وكيف له أن يعلم؟ وقال لها:

إفعلى الآن ما قلته لك تماماً.

أجل يا دكتور. . بالطبع يا دكتور.

وخرج.

ستة أبواب

وخلال ساعة، كانت القرية كلها تعرف أن ليديا مريضة حقاً وليس ما كانوا يأملون به. فلماذا استطاعت أن تهرب من أقويلهم؟ السيدة وايت، فى مكتب البريد والدكان الملحق به، كانت أول المتقولين تمرر الأقاويل مع علبة (سلمون) أو قطعة ثلج. . فهذه هى طريقة عاملة البريد. كان مخيباً لأمل الجميع أن لا تصبح عائلة جايمس جزءاً من طاحونة الأقاويل، إنهم خبثاء و بنتاتهن لا يقعن أبداً فى المشاكل، ولا يوجد (سكير) فى العائلة، ولا حتى(محتفل بيوم عيد) وهذا أقل ما يمكن عذره.

آدم العجوز كان ذا سمعة رائعة، ولا أحد يستطيع مناقشة حقوقه بأن يكون (أب) القرية. ولكن أليس هناك شئ غريب فى ذهاب ابنته جوان لتعيش فى مزرعة

هوكنز؟ وكذلك الأمر لأبنة هارى فى ذهابها ليلة بعد ليلة إلى (درب العشاق) مع ذلك الشاب من المزرعة الحمراء؟ ثم تشعر بالغثيان بعض الأحيان؟ هذا كله يعطى دفعاً الأقاويل المعتادة.

وكان تشارلز لويس مساعداً جداً. وعليهم أن يعترفوا ـاساً رجل لطيف. فقد حضر إلى منزل هارى ـة. وهو من جعل مود تهدأ، وتعرف أخيراً (بملح الكبد) بالأقراص المسهلة الأخرى التى أعطتها فى الصباح لليديا. ووصلت الأسعاف فى الوقت المحدد، ذ الفتاة مع والدتها. وكانت ليديا قد أصبحت بلون أبيض أزرق من شدة الألم. وقالت مود إنه كان على الطبيب أن يعطيها شيئاً ليوقف ألمها، بدل أن يصمم على إجراء العملية فوراً. . أليس كذلك؟

وقال السيد لويس لليديا وهو يسير إلى جانبها وهى فى الحمالة:

ستكونين بألف خير يا ليديا. . أنت تشعرين بالألم الآن، ولكن عند الصباح ستكونين فتاة أخرى.

كل القرية صلت من خلف الستائر لها، والوقحين منهم

وقفوا أمام أبواب منازلهم يتفرجون. ولكن القرية كلها كانت معجبة بواقع أن اليد لويس كان يحاول المساعده، ويقوم بعمله على أفضل وجه. . وغادرت سيارة الأسعاف القرية بسرعة، واقترح السيد لويس أن تصنع مابيل لوالدى كوب شاى عندما يعود إلى المنزل. ثم عاد إلى منزله.

وأدركت فيلوميل كم كان لطيفاً. ربما أسوأ ما فى الأمر أن تشارلز رجل لطيف جداً. وقامت بصنع عشاء ممتاز له، وعندما رآه ابتسم لها:

إنها معاملة جيدة الليلة!

لقد أنهكت نفسك مع حفيدة آدم.

ولكن حفيدة أدم هى المنهمكة!

وضحك. وراقبته وهو يأكل. . هل تستطيع لومه ولكنه الرجل الذى جعلها سجينة مدى الحياة، والقيود حولها إلى الأبد. فهل هى مخطئة؟ الجهل أسوأ من المعرفة. لو إنه فقط يبحث معها الأمر، فقد يريح هذا من الضغط النفسى عليها. ولكنه لن يفعل، فهو يحاول الأدعاء بأن شيئاً من هذا لم يحدث، ولن يواجه الحقيقة. أم إنها هى من تزيد هذه الحقيقة سوءاً؟

ووصلت بطاقة بريدية من كلاين عند المساء، يقول فيها إنه سيحضر يوم الأحد ليحضر العظة التى يلقيها تشارلز. . وقرأت هذا وهى تضحك فى سرها. فقد أفرحها هذا، ولكن، من جهة أخرى، لم تكن تريده أن يأتى، لأنه خطر. لقد أصبحت واعية لحقيقة إنه رجل يجب أن لا تقابله. وقالت لتشارلز بشراسة:

لا أريده أن يأتى.

ولماذا؟ أظن لأنه قال إنه يريد سماع عظتى؟

بالطبع لا! ليس الأمر هكذا بالمرة.

يبدو لى هكذا.

وأدركت فجأة أن يومها قد تغير، ولم تعد مسرورة بصينية الطعام التى حضرتها له. . فصمتت. . وعندما انتهى. . أخذت الصينية، ثم غسلت يديها وتأكدت من تحضير كل شئ للفطار. فعندما تحضر كل شئ لا تستيقظ بسرعة فى الصباح لتحضيره.

وخرجت بعد ذلك تتمشى. . بوصولها إلى مزرعة هوكنز وجدت النوافذ مفتوحة، وجوش لم يكن فى المنزل. وكانت جوان جالسة تخيط بلوزة جديدة ومريام تراقبها. .

ثم قالت لها:

لكنت ضعت لو كنت بقيت مع والدك ولم تعودى إلى.

بعض الأحيان أظن أننى لم يكن يجب أن أتركه.

تتركيه؟ هذا يعجبنى! أنت تقومين ما بوسعك لتنظيف بيته، وأعطاه الطعام الجيد. ولست أدرى ماذا يتوقع أكثر؟

إنه رجل عجوز.

لن يشكرك على قولك هذا! استبقى حبك لمن يريده.

هل أسمع شيئاً ما فى الخارج؟

ربما يكون جوش. . ذلك السيد النكرة.

لا. . ليس جوش.

ووضعت الخياطة من يدها وقفزت إلى الخارج لترى السيدة لويس تبتعد عن المنزل فأسرعت خلفها:

أهناك شئ سيدة لويس؟

لا. . هل أزعجتكما؟ كنت أتمشى ليس أكثر. فأنا أحب المشى. حتى ولو كان الوقت متأخراً.

فى الريف أعتقد أن الجميع ينام باكراً. . الوقت لم

يتأخر بعد.

وتابعت فيلوميل طريقها، وراقبتها جوان، وعندما استدارت لتعود شاهدت سيارة قادمةمن أسفل الشارع، ثم توقفت أمامها وشاهدت جوان الدكتور ميرديث فقال لها:

مرحباً جوان. . كيف حال السيدة هوكنز؟ لقد حضرت لرؤية شقيقك وزوجته ولدى أخبار عن ليديا. . مسكينة، لقد انتزعوا الزائدة فى الوقت المناسب. معه، كانت جوان تقول ما فى خلدها دائماً.

القرية كلها كانت تظن أنها حامل. فهذه هى الطريقة التى يتحدث بها الناس هنا. ووالدى كان مرتعباً.

ولكنها كانت الزائدة.

ولكن البعض لن يصدق!

وهل تلتزم السيدة هوكنز بالتعلمات؟ إنها مهمة.

أنا أتاكد من أنها تفعل، وحتى الآن لا بأس.

أستطيع الثقة بك.

أجل يمكنك ذلك.

وسارا نحو بوابة الحقل المنخفضة التى تنفتح على

المزرعة نفسها. من الغريب أن تحس جوان بالسعادة، وكأنها راضية بالحياة. شئ لم تحس به من قبل. ومع الأحساس شعور بأنها تنتظر شيئاً مبهجاً ليحدث.. لم تكن معتادة لأن تتحدث مع هذا الصنف من الرجال، فقد أمضت حياتها مع رجال القرية، مع جوش، والدها، ميريام، فى عملها كانت وكانها تخدم الكهنوت، وإذ لم تكن مساوية لهم. كانت تحب عملها، ولن تغيره مقابل الدنيا كلها.. ولكن، هى لازالت خادمة. وفجأة لم تعد تشعر كذلك.. وسارا جنباً إلى جنب، وتحدثا.. وأحست بالراحة وقال لها:

لقد كنت لتوى فى مزرعة (كولد كومفورت).

تلك التى على الطريق المسيجة ولها باب فوق التل؟ لابد إنها آخر طريق لها بوابة فى انكلترا.

هناك ستة أبواب. لقد عددتها. فى المرة القادمة سأطلب منك أن تأتى معى، لتقفزى من السيارة وتفتحيها لى، أترغبى فى هذا؟

أجل بالطبع..

وأحست بالحمرة تغزو وجهها فحاولت إخفاء

اضطرابها.

لا أستطيع فهم لماذا لا يضع المزارعون سياجاً لأجل الماشية... ولكن أظن أنها تكلف كثيراً.

إنها مكلفة بشكل فظيع.. هل تأتين معى ليلة غد؟

بالطبع.

وفجأة أصبحت المعرفة علاقة بينهما. متغيرة عن روتين القرية، وعن الأحلام التى تمر خلال الليل، وعند قدوم وذهاب الحياة، إنها علاقة حقيقية وإيجابية. وأحست جوان بأنها فتاة كبيرة فى السن، وكرهت هذا الواقع.. مغامرات الحياة تموت مع سن المراهقة.. ولكنها الآن عادت إلى الأحلام. إدوارد ميرديث وسيم، وله يدان جميلتان، وجوان معتادة على رجال ليس لهم أيد جميلة، ويداه جذبتاها.. ولكننى حمقاء.. لابد إنه سينسى، ولن يأتى ليأخذنى ليلة الغد.

ولم يبق كثيراً مع ميريام. وذهب... ونظرت ميريام إليها:

ما الأمر يا جوانى؟

لا شئ.

تبدين سخيفة.. مثل الفتيات عندما يقابلن الشبان. فلديك تلك النظرة المضحكة فى عينيك. والقطط يحصلن على نفس النظرة أيضاً.

وتمنت جوان لو أن ميريام لم تقل هذا. وغضبت لأن عيناها بدتا وكأنهما لقطة مغرومة.

هذا كلام فيه كثير من الهراء! لدى بعض قطع الثياب الصغيرة لأغسلها الليلة، لأننى غداً سأكون مشغولة.

ولم تنتظر الرد، فقد أصبحت الآن غاضبة، ومنذ دقائق كانت سعيدة جداً بالحب.

طوال اليوم الذى تلا كانت قلقة من إنه لن يأتى ليأخذها، ولكنه جاء. وسمعت سيارته (تزمر) وهى تقطع الطريق وخرجت راكضة لتقابله.. الجانب العقلانى منها كان جاهزاً، ولكن الجانب المتدنى حتى الأرض منها كان يقول لها إنها غبية. ومن فوق كتفها، وفى اللحظة الأخيرة قالت لميريام:

أنا ذاهبة فى مشوار إلى مزرعة نائية.. مسافة بعيدة. وبوجود كل تلك الأبواب سوف نتأخر.

وشاهدت تلك النظرة الحادة وكأنها الخنجر على عينى

ميريام. العجب والأمتصاض فى نظرة واحدة وقالت ميريام:

انتظرى نصف دقيقة؟

ولكن جوان لم تعطها هذه النصف دقيقة بل ركضت وتسلقت إلى داخل السيارة. وقالت:

كنت أعلم أنك ستأتى.

وها أنا هنا.

وتملكها شعور طفولى سخيف، وخجلت وكأنها الطفلة. كان يومه مشغولاً، كما قال، مع كل تلك المنازل المعزوله و المزارع المستوحدة. ولعن مزرعة (كولد كومفورت) والسيدة التى تعانى من أمراض الكلى فيها. لقد أخافته من أن تموت مرات أكثر من أن يستطيع العد، ولكنه دائماً يعود إلى زيارتها. فيوماً ما سيأتى ساعة حاجتها إليه الحقيقية، والمستشفيات، شكراً للسماء، تعمل ليلاً ونهاراً. وسألته:

لماذا لم تفتح عيادة كبيرة فى المدينة؟

لأننى فتى ريفى ووالدى كان مزارعاً.

مزارع؟

مزارع عامل، كما كان جدى كنا نسكن فى (ليستر تشاير) وكنت أحب ذلك المكان، وأكره الحياة فى المدينة.

وكذلك أنا.

واقع أن والده كان مزارعاً، قربهما من بعضهما.. وعلى حين غرة لم تعد خائفة منه. ذلك الخوف ربما كان من قميصه الأنيق، وبذلته ذات الخياطة الرائعة، وسيارته. ولكن ليس من الرجل نفسه، لأنه جذبها، والآن تحس بالسعادة والاطمئنان، والشعلة فى قلبها، والفرح الصافى لكونها معه، وفى الوقت الذى شاهدا أنوار المزرعة أمامها كانا قد تعرفا ببعضهما أكثر مما اعتقدت أن يكون ممكناً.

واستدار نحو طريق للعربات قادهما إلى الباب الرئيسى للمنزل ولا بد أن الرجل هناك سمع صوت السيارة فسارع لملاقاتها!

شكراً لله إنك أتيت يا دكتور.

وهل حالتها سيئة؟

سيئة جداً يا سيدى.

ولم يترد ادوارد ميرديث، بل أمسك حقيبته ودخل

بسرعة. حتى إنه لم يقل لجوان أن تنتظره، بل تركها هناك. ولاحظت خوفه على مريضته، وراقبتهما يدخلان ثم يغلقان الباب ورائهما. ثم شاهدت ظلهما فوق الستائر فى إحدى غرف النوم فى الطابق العلوى. وبعد طويل عاد ادوارد ميرديث إليها.

أنا آسف ولكننا سنتأخر.. إنها غلطتى، ما كان يجب أن أحضرك معى. ولكن سيارة الأسعاف قادمة.

بوجود كل هذه البوبات ستكون الطريق سيئة لها.

أعلم، البوبات ستؤخر كل شئ.

لا تزعج نفسك هكذا.

ولا حظت أن جبينه مملوء بالعرق، وعندما تتوتر أعصابه لم يكن يبدو مختلف عن بقية الرجال. ومدت يدها لتلمس يده بلطف:

القلق لن يفيد.. خذ الأمر بهدوء.. فهذه الطريقة أجدى.

ونظر إليها بوجهه التعب.

شكراً لك، إنك فتاة لطيفة. أتعلمين هذا.

هل حالتها سيئة كثيراً؟

سيئة بالفعل.. مسألة حيا أو موت.. ولكن أشكر الله إننى قمت بدورى خير قيام.

وشاهدا أمامها سيارة الأسعاف تشق طريقها عبر البوبات، تقف ثم تتابع الطريق. وأحست جوان بالأسى على المرأة..

وعندما لحقا بسيارة الأسعاف قال لها:

هذه البوابة هى الأخير.

أعلم.

أخشى أن أكون قد أخرتك كثيراً.. لم يكن الأمر فى يدى. هل سيكون آل هوكنز غاضبين.

هو سيكون قد ذهب إلى الفراش، وميريام قد تكون منتظرة.

أتدركين ما قد تظن إننا كنا نفعل؟

أجل بالطبع.. ولكن لا تقلق.. أستطيع تحمل الأمر.

أحب كثيراً أن نكرر رحلتنا هذه.. لقد أحسست بالسعادة.

وأنا كذلك.

ولن تعترف أبداً كم كانت سعيدة.

وكانت ميريام هوكنز تنتظرها، وعيناها تلمعان

بخشونة، لقد كان الوقت قد تأخر بشكل مغضب، وكانت تكره التفكير بشجار. وصاحت بها:

أين كنت بحق السماء؟ ومع ذلك الرجل البغيض أيضاً.

وأحست جوان بالأنزعاج:

أنا آسفة.. المسكينة السيدة فينش فى مزرعة (كولد كومفورت) كانت مريضة بشكل خطير. وكان علينا أن ننتظر سيارة الأسعاف.

لقد سمعتها تمر منذ نصف ساعة.. وماذا كنت تفعلين طوال الوقت؟

أليس هذا من شأنى؟

ميريام كانت امرأة مثيرة للشقاق تشق طريقها كما يحلو لها فى الحياة فأجابت بشراسة:

لا.. ليس الأمر هكذا.. لقد أبقيتينا نصف الليل ونحن ننتظرك.. وتكدر جوش كثيراً حتى إنه ذهب لينام.. الخروج مع رجل هكذا، وأنت تعلمين ماذا سيقوله الجميع عما كنتما تفعلان؟

القرية لديها سلاح مناقشة قوى، وضد هذا السلاح

سوف يتحطم درع جوان. وردت بهدوء:

أنت مخطئة جداً، بالطبع. ولكن انتهى الأمر. وحان وقت ذهابنا إلى النوم.

ولكن ميريام أرادت متابعة الحديث،وأطلقت سلسلة من شتائمها المعتادة.. إنها تكره الرجال، وهذا يعنى كل الرجال! كانت تظن أن الدكتور ميرديث قد خرج مع جوان ليحصل على ما يريد منها، وقد قلب لها رأسها بكلامه المعسول. كل الفتيات رخيصات! وفى النهاية قالت جوان إنها لن تستمع إلى كلمة واحدة من هذه الترهات. وذهبت لتنام.

من الجيد أن فى الغد دورها للذهاب إلى منزلها للتنظيف.. زوجة شقيقها كانت تقوم بعمل الكثير، ولكنها هى، لديها يوم فى الأسبوع لتعمل هناك. وصحت قبل طلوع الضوء. وتحركت بهدوء إلى الطابق الأرضى.. عادة كانت تنتظر إلى ما بعد الفطار.. ولكن بسبب ما حدث ليلة أمس ذهبت اليوم باكراً. وما أن وصلت البيت حتى سمعت والدها يقطع الحطب، وهذا يعنى إنه نسى تقطيعه ليلة أمس وأنه لم يعد لديه حطب للموقد.

سأفعل هذا عنك يا أبى.

ونظر إليها وفمه مفتوح، لقد نسى أن اليوم هو دورها لتنظيف البيت، وهى لا تحضر عادة قبل الفطار.

هل أنت عائدة إلى هنا يا جوانى.. ؟

لا.. ولكننى استيقظت باكراً.. لا تقلق يا والدى.

فهز رأسه، والتقطت الحطب الذى قطعه:

أنت على حق يا فتاتى، سأحضر لك البيض للفطار وسأختار الأفضل منها.

يوم أمس بالضبط سافر آل بينيث إلى شمالى فرنسا، والبيض من مزرعتهم.. وسيشتاق اليهم.. ومن الجيد أن جوان قد أتت اليوم! ودخلت إلى المطبخ وأشعلت النار، ثم لحق بها يحمل بيضة كبيرة ذات صفارين. وجلس ليتناول الشاى الساخن. وقال:

رائع جدا أن تعودى لتناول الأفطار معى يا فتاتى...

الحقيقه المره

حضر كلاين ستيفنز فى زيارة مفاجئة.

واختار بعد ظهر يوم كان فيه أهل القرية يطبخون مربى توت العليق. فى مثل هذه القرى الريفية مثل هذه المناسبات البسيطة تسيطر على الحياة الشخصية. ولم يكن أمام فيلوميل وقت حتى لموسيقاها التى تعبدها. ولا ساعة واحدة للقراءة.

كان كلاين قد أرسل بطاقة بريد يقول إنه سيكون فى الجوار فى وقت ما خلال الأسبوع. وفكرت وهى تتلقى البطاقة من ساعى البريد: ها قد طارت سمعتى فى الهواء.! كانت تأمل أن يؤخر كلاين الزيارة إلى آخر الأسبوع.. ولكنه جاء اليوم.

اليوم هو الوقت الوحيد الذى أصبح فيه المطبخ غرفة

جلوس لها.. كان غرفة غير مريحة و لا تحصل على الشمس أبداً، ولكن كان لها مطل على منظر جميل: المروج الخضراء، والمزارع المنتشرة هنا وهناك حول الحقول، والشارع يتصاعد إلى أعلى التل لينضم إلى الطريق الرئيسية، البعيدة قليلاً.

أوعية طبخ المربى كانت على النار، وهذا هو الأمر المناسب، والمطبخ كله كان معجوقاً بالحركة. وكانت هى تلف نفسها بمئزر كبير أزرق، عندما دخل عليها كلاين بهدوء. حتى إنها لم تسمع صوت سيارته تقف عند الباب. ولم تدر سوى إنها حست بسعادة غير عادية لرؤيته. وقال:

لقد قرعت الجرس كالمجنون ألم تسمعى؟

باب المطبخ مقفل.. لقد وضعت المربى فوق النار!

رائحته شهية جداً.

كان يرتدى ثياباً ريفية، بنطلون واسع وسترة رمادية، أزرارها عالية وعصرية جذابة. تشارلز يرتدى نفس الثياب لسنوات. ولا يغيرها مع (الموضة) ولا حتى مع الفصول. فى بعض الأوقات كانت تتوق لأنه ترى من هو أصغر منه سناً، وأمدح، وأكثر ابتهاجاً، ويلبس الثياب

الجميلة المثيرة. وتشارلز نسى كم مر عليه من زمن منذ كان فى المدينة.. ولكن كلاين شاب مختلف. وقال لها:

سأساعدك على وضعها فى البرطمانات.

ستسبب لنفسك بورطة.. ثم أن مغسلتنا صغيرة لهذا العمل.

لا أمانع.. أمامنا النهار كله.. ويمكننى أن أتأخر.. أو ليس هذا نوع من المرح؟

عظيم!

ولكن تفكيرها سافر بها إلى الأمام.. وللمرة الأولى أحست بالخوف. فتشارلز لن يعود قبل العاشرة مساء، لأنه ينوى زيارة عمته العجوزة فى بلدة قريبة. وعرفت، وقلبها يخفق، أنها وكلاين سيكونان لوحدهما فى هذا المنزل الكبير.. وهذا أمر خطر. وخافت. ثم قالت بسرعة:

كنت سأخرج عند المساء.

حسن جداً. خدينى معك، والآن هل أكتب اسم المربى وتاريخ صنعه على هذه الأوراق؟

إفعل! سأبقى فى المنزل.. من الرائع أن أراك ثانية.

فى داخلها.. فكرت أن عليها أن تفعل شيئاً لتوقف كل هذا، شيئاً تستطيع أن تتخلص عن طريقه. فقد يحدث أى

شئ لهما وهما لوحدهما.. ثم وجدت إنها مسرورة أكثر لإنهاء عملها بالمربى فى وقت أسرع بكثير مما توقعت. وبأنها نسيت أن تختلق تلك الأعذار. وعبئا المربى معاً، وكانت رائحته لذيذة، وبقى القليل منه ليتناولان مع الشاى. وأخذا الشاى معهما إلى غرفة جلوسهما الخاصة الصغيرة.

كانت قد خلعت المئزر، ومن تحته كانت ترتدى ثوباً صيفياً له أكمام قصيرة، فالعمل فى طبخ المربى حاراً جداً. وقال كلاين:

تبدين بهجة للنظر.

أرجوك.. لا تكن سخيفاً.. خذ كعكة أخرى.

هل صنعتيها بنفسك؟

اجل.. صنعتها بنفسها، ولكنها أحست أن من غير الحكمة قول الحقيقة الآن.

لدينا مخبز جيد جداً هنا وهو يخبز الكعك بشكل خاص يوم الجمعة.

كم اتمنى أن يكون بجوارنا مثل هذا الخباز! ولكن هذه اكذوبة أليس كذلك؟ أعلم أنك أنت صنعتيها... طعمها يشير إلى أنها من صنع بيتى. أتظنين أننى غبى؟

لا.. ولكننى أظن أننى أنا الغبية!

وجلسا هناك معاً يضحكان، وأحست بالبهجة، والأثارة، والحيوية، وبالسعادة الكاملة. وجلس كلاين يراقبها بعينيه اللوزيتين.. وسألها دون توقع.

لماذا تزوجت تشارلز؟

وقالت معترفة قبل أن تستطيع إيقاف نفسها:

لست أدرى.

ثم تذكرت متأخرة ذلك المبدأ العام الذى يحتم عليها أن تكون سيدة للصمت.. ولكن كان ما تفوهت به هو السيد. وسألها:

أنت متزوجة حقاً؟ شئ أكثر من الجرس أو الكتاب أو القنديل.. وكل هذه الأمور.

ومرة ثانية أخذت الكلمات التى لا تريد أن تتفوه بها زمام أمرها، فقالت معترفة:

ليس حقاً.. .

وفى لحظة واحدة تحطم ما بينهما من الحواجز، وانفجر الخزان، حتى أن طوفانه أغرق كل حياتها. وفى ذلك الطوفان خرج الكثير من الكلمات. حتى أنها لم تكن

لتصدق بأنها قادرة على قولها. وضاعت فى إحباط متشوش، وفى الجوع والرغبة. وفى بؤسها، وحرمانها المدقع من الحياة، ومن جزء مرتفع تعلم أنها لن تستطيع تسلقه، ومن نظرة طفل تعلم أنها لن تنجبه أبداً! ولم تستطع أن تبقى كما هى.

وعندما توقفت عن الكلام. أمسك بيدها وضغط عليها، ثم قال بهدوء:

كنت أخشى هذا.. ربما خمنت وعرفت، ربما عرفت.. لست أدرى.. .

لم يكن عليك أبداً أن تعود.

اوه.. بلى.. كان يجب أن أعود، فلدى كل الحق أن أكون هنا.. إنه حق حبى لك.

ولكننى متزوجة.

مثل هذا الزواج يمكن إثبات بطلانه وانفساخه.

واستدارت لتنظر إليه:

ولكن فكر كيف أن هذا سيؤلم تشارلز.. لن يستطيع الأستمرار فى العيش هنا. فكر بالأقاويل و الفضيحة! لا أستطيع فعل هذا. فلن يكون انصافاً له.

ولكنها الطريقة الوحيدة لخلاصك. لا يمكنك الحكم على نفسك بما يوازى الأعدام.. . فهذه ما هى عليه حياتك هذه.

لن أجرح تشارلز بهذه الطريقة.. لقد كان طيباً جداً معى.

فقط بطريقته الخاصة.. كان يسود عليك، يعاملك كالطفلة لأنه لا يجرؤ على الأعتراف بأنك إمرأة.. فهو يعرف أن المرأة تريد ما لا يستطيع هو أن يعطيه. ومن واجبه أن يثبت مركزه.. ألست على صواب.؟

قد تكون على صواب، ولكننى أنا أيضاً على صواب. فإذا فعلت هذا، سأكون و كأننى أطعنه فى ظهره.. وأنت تعرف هذا.

وأخذ ينظر إليها.

أنت تقبلين حياة كلها مزيفة. وتعتقدين أن كل ما عليك فعله هو الصرير على أسنانك لتحصلى على ما يقدمه لك المستقبل. ولكن الحياة ستجعلك تدفعين غالبا.

وتقدم منها، ثم قبلها، ولم تقل شيئاً. لم يكن يجب أن تترك الأمور تصل إلى هذا. كان عليها أن توقف الحديث فى وقت أبكر عندما كان لديها الفرصة. لأنها كانت تعرف أن الوقت ليس مناسباً. ربما قد أعمت بصرها لأنها كانت

جائعة للعاطفة. ربما لم يعد الأمر يهمها، وما يهم حقاً أن لديها الآن هذه الساعة، وبطريقة ما، لم تستطع أن تتراجع. ربما إغراء الربيع والصيف لا يمكن أبداً مقارنته مع حرمان السنين.. كانت تحس بالخريف مقبل عليها.. وتحس بالفرص تموت أمامها. وقال لها:

أريد الزواج منك، يا حبيبتي.

لا.. هذا لا يمكن.. إنه أمر خاطئ جداً.

وطوال الوقت كانت تحس بأنها محمولة فوق موجة من مد عال جداً، ومع أن وعيها كان يسعى لتجنب هذا المد، إلا أنها لم تكن تتخذ الخطوات القوية الكافية.

فى هذا الوقت تماماً.. دخلت مود جايمس.. لتقوم بغسل الأوانى التى استخدمتها فيلوميل فى صنع المربى.. فزوجة هارى مشهورة بمهارتها فى مثل هذه الأمور، وكانت قد وعدت فيلوميل أن تقوم لها بهذا العمل بعد انتهائها من طبخ المربى خاصتها. فكيف نسيت فيلوميل هذا؟ لا بد أنها رأتهما جالسان معاً على الصوفا، وصلت أن لا تكون قد لا حظت شيئاً. ومع ذلك فالمنطق يقول أن هذا أمر سخيف، فلا يوجد إمرأة قروية يمكن أن يفوتها

مثل هذا. وقالت مود:

لقد حضرت لغسل الأوانى.

كم هذا طيب منك! لقد نسيت تماماً إنك ستفعلين هذا لى.

ونظرت إليهما مود متفرسة:

إذا أرادت تحضير شئ للعشاء.. أستطيع البقاء لأصبخ لك. فأنا أرى أن لديك ضيفاً.

كانت إمرأة بارعة، واحدة من النساء اللواتى يقمن بعملهن جيداً، ولا تتذمر أبداً.

سأكون شاكرة جداً لك!

وكانت فيلوميل قد احمرت وكأنها فتاة صغيرة! وخرجت معها إلى المطبخ حيث كان كل شئ مغطى بالجرائد حتى لا ينتشر عليه المربى.

سيكون هذا رائع منك يا مود.

بماذا تفكرين للعشاء يا سيدتى؟

هناك نصف دجاجة وبعض لحم الغنم.. ويجب أن يكون العشاء واحداً منها. أو شئ من العلب.. اوه.. ياعزيزتى.. لا شئ منها يبدو لذيذاً.. أليس كذلك؟

لا بأس بهذا.

وأشرقت ملامح مود، لقد كانت طباخة ممتازة قبل زواجها.. وكذلك فقد لاحظت أن هذه قد تكون مناسبة خاصة جداً.

أستطيع صنع دجاج محمر وبعض البطاطا المقلية والقنبيط.

مود.. أنت نابغة!

اوه لا يا سيدتى.. أنا إمرأة عادية.

وابتسمت، وساورتها تلك الفكرة القديمة بأن العالم كله يحب العشاق. كانت تعتقد أن السيد لويس يبعث الملل وكانت تتساءل كيف تستطيع زوجته أن تتحمله.. .

وكان بالنسبة لفيلوميل، كمن يحصل على عشاء فى مطعم، والخادمات تخدمه، وكأنها دخلت الجنة وليست بحاجة لأن تزعج نفسها بشئ. إنها معجزة، وأحست وكأنها طفلة، وقد ابتهجت بسعادة فجائية، وأرادت أن ترقص.. وكان كلاين يتفحص الكلمات المتقاطعة فى الجريدة. وقال:

والآن.. ماذا؟

مود ستبقى هنا وتحضر العشاء لنا.. تشارلز سيحضر فى وقت متأخر. فلنخرج إلى الحديقة لنقطف

بعض الزهور للمائدة.

أجل.. بالطبع.

وبدا وكأن طوفاً من الأفكار قد أغرق مخيلتها، لأنها كانت سعيدة جداً. فسوف تسرق هذا اليوم من الحياة، أو بضع ساعات، وتمتع نفسها. وهذه هى السعادة الكاملة التى لم تعرفها من قبل. وربما لن تعود أبداً، ولكنها ستحتفظ بذكراها إلى الأبد.

وأخذا يتحدثان وهما يجمعان الأزهار، وأحست بأنهما متزوجان على الأقل من عشر سنين. وبإمكانها تقبل الحياة كما هى. وعادا إلى الداخل، ووضعت الأزهار فى أنيتها فى منتصف الطاولة. ثم أخذت كلاين إلى غرفة الجلوس ليحتسيا كأس شراب. وكانت مود قد حضرت المائدة على الطريقة القديمة الطراز.. لقد مضت سنوات لم تشاهد فيلوميل الطولة مرتبة هكذا. وأشعلت المدفأة الكهربائية مع أن تشارلز كان يقول لها دوماً أنها تكلف ثروة. ولكنها أحست أن الليلة هى ليلة خاصة جداً. وقال كلاين:

يقولون أن الجنة تأتى للأنسان فى حياته مرة.. وربما تكون هذه جنتنا الليلة.

أجل هكذا أشعر.

وجلسنا على الصوفا وأخذ يربت عليها ويدللها، ولم تحاول أن توقفه.. فقال:

يجب أن تنهى أمرك مع تشارلز.. لا يمكنك الأستمرار فى الحياة هكذا بهذه الطريقة المنافية للمنطق.. أريد الزواج منك وآخذك فوراً إلى النوع الحياة التى تستحقينها.. ولن يتألم تشارلز كثيراً، ولكنك إذا بقيت هنا فسوف تؤلمين نفسك بشكل قاتل.

ولامس عنقها بشفتيه. وقال لها تفكيرها السليم.. توقفى الآن! ولكن اللحظة المناسبة أفلتت ولم توقف شيئاً. كانت و كأنها تنتزع هذه اللحظات من قلب الصيف الذى على وشك الذهاب، قبل أن تسلم نفسها للشتاء القادم، وإلى الأيام والليالى الطويلة، وهى مستلقية تصغى لشخير تشارلز.

وتناولا العشاء بفخامة، فمود كانت قد قامت بأقصى جهدها كى تخدمهما جيداً. وقال كلاين أن عليه الذهاب باكراً، ثم وصل اتصال هاتفى من تشارلز ليبلغ فيلوميل بأنه قد يتأخر أكثر بكثير فقد تعطلت سيارته وقد لا يعود قبل الساعة الواحدة.

ولم تدرى فيلوميل ما إذا كانت سعيدة أم آسفة.

فهناك لحظات فى الحياة عندما يستولى القدر على شئ إلى ما بين يديه ويبدأ بترتيب الأمور حسب مزاجه.. وبعد هذا لا مجال للتراجع.. وسألها كلاين:

هل سيتأخر؟

أجل.

وأحست بشعور أن ردها أصبح آلياً.. وحاولت سحق الألحاح فى داخلها، والفرح الطاغى لحصولها على هذا الوقت الأضافى مع كلاين، والجوع والعطش معاً فى وقت واحد. فهذا هو (كوكتيل) الحياة..

واستدارت لتضع ذراعيها حوله.

وعاد تشارلز متأخراً جداً وكان منزعجاً جداً. وكانت فيلوميل قد آوت إلى الفراش وتغط فى النوم. ولكنه أيقظها، بالطبع لأنه واحد من هؤلاء الرجال الذين يصطدمون دائماً بالأشياء ويستطيعون إصدار الأصوات المختلفة. وأكد لها إنه سوف ينام سريعاً، ولكن هذا ما لم يحدث.. فالحلم كان لا يزال معها.. كانت تركض فوق المرتفعات بسعادة.. واستلقت هناك وكأنها صاحية

تماماً.. وبطريقة ما لم تعد هذه الغرفة سجناً، فقد اختفت القضبان الحديدية عن نافذتها.. أم أنها كانت دوماً تتخيل وجودها؟ أم إنها هى التى تغيرت؟ وسمعت ساعة الحائط تعلن الوقت، ومع أن الوقت لا يهم، فقد سمعته تكراراً. ولكن حياتها كانت قد انتقلت إلى وجه جديد مشرق.. وهى تشعر بالسعادة المطلقة.

وقبل بزوغ الفجر بقليل، غفت.. وصحاها تشارلز بأن صحا بنفسه وأخذ يتحرك فى الغرفة، فاستفاقت مذعورة.. الفطار! يجب أن تكون سريعة فى تحضيره له، وسارعت بارتداء ملابسها وأسرعت تنزل السلم حتى إنها لم تنظف وجهها.

ليلة أمس كانت غرفة جلوسها الخاصة والمطبخ المتصل بها كالقصور. كم يمكن للحب أن يكون مخادعاً، فقد رأت إنه يمكن له أن يعيد فرش غرفة ويجعل كل شئ يبدو سرايا فى لحظات! ولكن ضوء النهار الأبيض كان غريباً على ذلك السراب فصوانى الفطار بدت سخيفة لها. ووضعت البيض ليغلى وهذا أسرع شئ تستطيع تحضيره، ثم توجهت إلى محمصة الخبز، بينما كانت القهوة قد بدأت ترسل رائحتها القوية.. رائحة تحبها جداً.

ليلة أمس عندما كانت هنا.. وأحست بالخجل من نفسها.. فقد بدا أن قناعاً قد حل فوق كل شئ.. كان تمثيلية حضرتها وأحبتها وكانت سعيدة بها. ولكن السعادة الآن وقعت من فوق برج مرتفع، وعادت إلى الأرض. ودخل تشارلز.

وأجبرت نفسها أن تتكلم عن الطقس وعن مشاغل النهار، ولكن تشارلز لم يكن أبداً من النوع المتحدث وهو يأكل. وقالت له:

كلاين ستينغز كان هنا ليلة أمس.. وكان آسفاً لأنه لم يرك، ولكنه سيعود قريباً.

ولكننى كنت مضطراً لأن أكون خارج المنزل. ز أليس كذلك.

أجل.. أمر مؤسف. ولكن لا بأس.

وصبت له المزيد من القهوة، وأحست إنها في حلم، وكأنها غير غير واثقة من تصرفاتها، وليست موجودة إطلاقاً. فنصف تفكيرها كان يرفض تصديق ما حدث ليلة أمس. لقد تلقت الحب لأول مرة. وهذا أمر غير منصف إطلاقاً لتشارلز.

وربما كانت قد تحدثت كثيراً. فقد طلب منها السكوت.

فلديه أشياء يريد التفكير بها أشياء جدية، واجباته.

يومه.. واجباته! بينما أنا ليس لدى سوى ذكرى ليلة أمس. شئ لن يعود أبداً.. ووقفت وتركته لوحده. وتابعت عملها بهدوء.. لماذا على الصباح أن يعقب الليل؟ لماذا على اليوم أن يمتص سعادة الأمس؟

بعد يومين تلقت رسالة من كلاين.

وجلست فوق حجر الزاوية للأرجوحة التى بنتها بنفسها، مع وجود آدم العجوز ليعطيها التعليمات. وقرأت:

(يا حلوتى..

هذه ربما أكثر رسالة صعبة أكتبها فى حياتى، فأنا شديد الأحساس بها، ولدى الكثير أريد قوله لك فيها، نحن لبعضنا.. ولا شئ يغير هذا.. وربما نسى تشارلز إنك لم تكونى له أبداً. إنه واحد من رجال اللذين يبنون جداراً حول نفسهم، ويبعدون كل شئ لا يريدون الأعتراف به.. وجداره هذا صلب.

(ولكن ليس هنا من جدار حولك، وهذا شئ يجب أن يفهمه ويكون متعقلاً تجاهه).

(زواجك ليس زواجاً، وما عليك سوى أن تتركيه وتأتى

إلى، إلى ذراعى ليصبح زواجنا ممكناً، وهو زواج سيدوم إلى الأبد. وأنا أعرف أنك مخلصة لتشارلز أكثر مما هو مخلص لك).

(أنت آتية إلى.. أليس كذلك؟ أريد أن تغادرى ذلك المنزل، وسوف أحرك عجلة القانون لخلاصك. لقد حصلت على استشارة قانونية، وسيكون الأمر أسهل مما تظنين.. وبالنسبة لنا سيكون زواجنا إلى الأبد.

(أعلم ان هذا لا يمكن أن يتم دون جرح شعور تشارلز، ولكنك مجروحة، وبعمق يا حبيبتى المسكينة، ولذا فأنا أظن أن عليك الآن أن تجرحيه. والأمور لا يمكن أن تمضى على ما هى عليه بعد الآن.. متى اراك..؟؟ وكيف؟ وأين؟... كلاين).

وناداها تشارلز من الردهة.

فيلوميل؟ أريدك.

سأحضر حالاً.

وسارت ببطء وتعب عبر الحديقة إلى حيث كان يقف قرب الممر المفروش بالحصى، ووجهه متجهم، وكان واضحا إنه كان يريدها أن تصل أسرع. وقالت:

ها أنا قد أتيت:

أعشاب السوسن التى أصبحت تملأ المكان، والسوسن يكون رائعاً عندما يكون مزهراً، ولكنه يترك وراءه أوراقاً بنية بشكل السيف تؤذى بشكل غير مرغوب. وقال تشارلز صائحاً:

ماذا كنت تفعلين طوال هذا الوقت؟ ماذا دهاك هذه الأيام؟ نصف النهار تقضينه فى أحلام اليقظة.

أنا آسفة.

هذا لن يفيد.. لقد أحضرت كل كتب التراتيل المرقة من الكنيسة، ويجب أن نفعل شيئاً لنلصقها مع بعضها ثانية. ويجب أن تنتهى يوم الأحد.. .

حسناً سأساعدك.

ولكن هناك الكثير منها.

أجل أعلم.. ولكننى سأنجزها.

ولكنها علمت أنها لن تكتب الآن لكلاين، فلن يكون لديها وقت. وربما ظهر على وجهها الامتعاض إذ نظر إليها تشارلز وقال:

هل هناك شئ خاطئ؟

لا أظن.

ربما كان يحس بالمشاكل، فقد سارع للقول:

نحن غير متفقان.. أليس كذلك؟ أنت تلومينى على كل شئ، ولكن الذنب ليس ذنبى.. لا أستطيع فعل شئ، وأنت تعرفين، وأحاول أن أساعدك بقدر استطاعتى.

أعلم هذا يا تشارلز.. ونا ممتنة لك.

وخافت أن يقول المزيد فأشارت إليه أن آدم العجوز هو فى مدى السمع، عند الزاوية، فرد عليها بغباء:

لست أفهم ما تريدين.

ليس هنا يا تشارلز.. لنتكلم فى الداخل.

هكذا أنت دائماً.. أنت لست سوى طفلة.

وبسرعة وقبل أن تستطيع منع نفسها صاحت:

الطفلة تنضج فى يوم من الأيام.. وأحذر ذلك اليوم. لم يكن يجب أن نتزوج أبداً. فهذا ليس بزواج. الله وحده يعرف ما هو.

لقد قالت الكثير.. وخجلت من نفسها وخافت.. وسارعت لتدخل المنزل..

دائره سحريه

وسمع آدم كل كلمة...

لم يكن يقصد أن يسمع، ولكنه لم يستطع إلا أن يسمع. لقد كان يعلم أن شيئا ما خاطئ جداً، كان يكره أى انزعاج موروب. وأسوأ الأنواع عندما يكون فى منزل قسيس. طوال الوقت كان يشعر أن الجواب يكمن فى (طفل) ولكنها قالت لتوها أن زواجها ليس بزواج وهو يعرف جيدا أنها لا تقول سوى الحقيقة.

وأنهى عمله فى جب السوسن. وجمعها بعيداً عن كومة كبيرة. السيدة لويس كانت ترغب فى أن يزرع مكانها النرجس فى السنة القادمة. وليس هناك أجمل من زهرة النرجس الليكلية اللون، فهى تبدو جميلة أينما كانت. ثم

توجه الى الباب الخلفى للمنزل ليتناول فنجان الشاى.. فهو يعلم أنها مهما كانت منزعجة فلن تنسى فنجان الشاى له.

وتقدمت من الباب ولاحظ على الفور أنها كانت تبكى.. فقال:

متى ستحضرين النرجس يا سيدتى.

يوم الجمعة إذا حالفنى الحظ.

يجب أن نزرعها قبل حلول البرد.

بالطبع..

وذهب إلى منزله باكرا، فقد وعد مود بهذا. ليديا ستعود من المستشفى اليوم وهناك الكثير أمام مود لتفعله.. هذه الأيام المستشفيات لا تبقى المريض ساعة زيادة عن اللزوم، وهم لا يعطون أحدا فرصة.

وكانت مود لا تزال فى الكوخ تحضر له الشاى عندما وصل، لقد أحضرت سيارة الأسعاف مود إلى المنزل وهى الآن نائمة فى الفراش. ومن رأى مود أنهم إنما طردوها من المستشفى، فهم بحاجة إلى السرير ولا أحد يهتم ..

وتركت آدم وحيداً ليكمل شرب شايه براحة وعندما انتهى خرج إلى حديقته ليلتقط رزمة من زهر الأقحوان البرونزى، والتقط بعض التفاح الناضج الطرى..ليديا تحبه طريا. ووضع الجميع فى سلةوحملها إلى ليديا كى يحييها. وقالت له مود:

إصعد إلى فوق لرؤية ليديا يا جدى.

وتسلق السلم الضيق ثم إلى الغرفة التى فى الزاوية حيث ترقد ليديا. وكانت محمرة الوجه عندما استدارت إليه:

قالوا أن الألم لدى هو مجرد عابر.. ولكنه يؤلم كثيرا. لقد كانوا يريدون الخلاص منى فأنت تعرف هذا النوع من المستشفيات.

وهز رأسه فهو يعرف.

لقد غضبت والدتى كثيرا.

ولكنهم يفعلون هذا دائما.

أظن أنها تعتقد أننى أدعى الألم، وهذا ليس صحيحاً.

فقال مواسياً.

بعد أسبوع من الآن ستصبحين فتاة جديدة يا ليديا، فلا تقلقى.

وكيف حال عمتى جوان؟

ولماذا تسألين؟

فابتسمت بخبث:

أتعرف ماذا يقولون عنها فى المستشفى؟ كل المرضات تتحدث، يقولون أن الدكتور ميرديث مغرم بها.. إنه يخرجها معه فى سيارته ليلاً.

لقد قلت لى هذا من قبل.

المرضات مجنونات بحبه، إنه شاب وسيم جميل، والآن يقولون إنه مغرم بعمتى جوان. أتساءل ماذا تقول السيدة هوكنز عن هذا الأمر؟

وقال ببطء:

لست أرى سبباً لأن تمانع السيدة هوكنز، فهذا شئ ليس لها علاقة به.

وفهمت ليديا مغزى كلامه فغيرت الموضوع بسرعة،

وتحدثت عن جمال الأزهار، وعن التفاح، فهو من النوع الذى تحبه. وغادر المنزل بأسرع وقت أمكنه وقال عند الباب:

إهتمى بشؤونك يا ليديا.. ولا تخبرى والدتك شيئا عن عمتك.

كانت جوان قد قالت له عن ذهابها مع الطبيب إلى مزرعة (كولد كومفورت) ولكنه اعتبر الأمر سخيفا يومها. ربما كان مشغول البال بالسيدة لويس ولم يلاحظ ما تفعله جوان. وسوف يحاول الحصول على معلومات منها عندما يراها.

ووصلت جوان عند أبيها متأخرة، ورمت كومة من المشتريات عند زاوية الطاولة.

ها قد وصلت يا أبى!

هل أحضرت كل شئ؟

كل شئ.

يعجبنى معطفك الجديد.

لقد اشتريته بثمن بخس، كنت محفوظة.

أجل.. ليديا عادت إلى المنزل.

وماذا قال الطبيب؟

وهذا ما أعطاه الفرصة ليفتح لها الموضوع.

لست أدرى، فأنا لم أره.. هل رأيته أنت؟

سؤاله جعلها ترتاب، ولكنها تنوى أن تقول له ولهذا قالت بهدوء:

لقد خرجت معه منذ ليلتين. فأنا أساعده فى فتح البوابات.

أه..!

ولكنه يعرف أن إدوارد ميرديث لا يسعى وراء فتح البوابات. وهو ليس بالعجوز الأبله كما تظن جوان.. فتمتم قائلا:

إنه شاب جيد.

إنه يعجبنى كثيراً..

ولكن لا تقعى فى حبه جوانى فالشباب المتألقين لا يؤمن جانبهم أنهم مختلفون عنا.

أنا أكبر سناً من أن أقع فى الحب.

الإنسان لا يكبر أبداً على الحب.

www.rewity.com

ولم تجب، وبدأت توضب ما اشترته فى مكانه. وعندما انتهت استدارت لتذهب.

يجب أن أذهب.. ميريام بحاجة إلى.

وكيف حالها؟

إنها تتحسن.. إذا كان النزوق علامة الصحة.

ولم يدر لماذا سألها.. كل ما يعلم إنه قال:

ومتى ستعودين إلى المنزل يا جانى.؟ أنتماؤك إلى هنا؟ والمنزل بحاجة لك.

وشاهدها تحمر خجلا.. اللون الأحمر جعلها تبدو جميلة وعلم إنها ستتهرب من الرد.

أنا بخير كما أنا.. أشكرك يا أبى. والآن على أن أذهب.

غدا سيحل تشرين الثانى.

آدم يكره تشرين. فالنهار يبدو أقصر، ولكنه يبدو له أطول أشهر السنة. والميلاد يصبح قريبا.. ولقد سمع أن السيد لويس سوف يحضر هذه السنة فرقة إنشاد.

وكان يقطع الخشب عندهم عندما خرجت فيلوميل تحمل له الشاى. وبدت له نحيلة، وكأنها مريضة. وعيناها

تبدوان غريبتان. وهذه النظرة أخبرته بكل شئ، حتى ولو كان يشك من قبل.

كيف ستشعرين لو عرفت أنك حامل يا سيدتى؟

ورأى الرعب فى وجهها، وهذا آخر ما قد يتوقعه. فهو لا يعرف أنها ستخاف من الألم. والنساء فى هذه المرحلة المبكرة يشعرن بالسعادة لحملهن وقالت:

حامل؟

وستكون القرية سعيدة يا سيدتى. الأطفال يأتون، ويأتون بالترحيب بهم معهم.

كان سعيداً جداً عندما ولدت له أديث بنتا ثم صبيا، وكان يريد المزيد ولكن اديث قالت أن واحدا من كل نوع يكفى. وإذا أراد المزيد فعليه أن يحصل عليهم من إمرأة أخرى!

ووضعت فليوميل يدها فوق فمها، وبدت عيناها الخائفتين من فوق يدها ثم استدارت دون كلمة وركضت إلى المنزل وأنهى شرب الشاى وتقدم بهدوء وفتح باب المطبخ ووضع الفنجان فى الداخل.

وسمع صوت إمرأة تبكى.

وببطء سار إلى منزله، وأحس بالأسى العميق تجاه فيلوميل...

إنه يحب أن يساعدها كما لم يساعد أحداً من قبل، ولكن ليس هناك ما يستطيع أن يفعله. لا يمكن أن يكون الطفل من زوجها. لفتاة من طرازها ستكون هذه آخر قشة فى حياتها. وستكره مجرد التفكير بالأمر، فهى ليست فتاة رديئة.

الرداءة فى نظرة لها مراتب.. والخطيئة لا يجب فى الواقع أن تكون خطيئة، ولكن حالة قد انجرف المرء إليها. غلطة كبيرة أتته كثيرا.

والخطيئة هى تشارلز لويس.. وبدا من السوء أن يستطيع قسيس أن يرتكب الخطيئة. ولكن بالتأكيد أساء لهذه الفتاة، حتى ولو آله هذا. ولكن كان عليه أن يضع نفسه فى الدرجة الثانية بعدها ولا يترك هذا يحدث.

ولكن من هو حتى يحكم؟ وخجل من نفسه لأنه مزعج. وشاهدالسيدة هارت تقف عند باب مكتب البريد، وهو يعلم إنها تقف هكذا لتصطاد الأخبار.

مساء الخير جايمس.. أليست السيدة لويس بخير؟

لقد تكلمت معها التوى وبدت لى على ما يرام.

آه لك أنت..!! أنت رجل.. وليس هناك شئ حول النساء تفهمونه أنتم الرجال...

أوافق معك على هذا.

لن أندهش بعد كل هذا الزمن أن يصبح فى بيت القسيس قسيس صغير. وسنعطل كلنا على شراء مهد له.. إنها تبدو لى هكذا، شاحبة مصدومة وما شابه.

آه.. ولكننى لا أعرف. تبدو على ما يرام لى.

ولم تكن السيدة هارت قد وصلت إلى مبتغاها بعد.

لقد قيل لى أن القسيس ليس من ذلك النوع... أنت تعرف ما أعنى.. اوه.. اعترف أن هذا أدهشنى.. ولكن هكذا قيل لى.

أنا لا أستمع أبدا لما يقوله الناس. فمن غير المجدى التحدث مع أناس شغلهم الشاغل الثرثرة فقط.. فهذا لا ينفع.

وتركها وأكمل سيره متعمداً. ففى مطلق الأحوال يجب أن لا تجره لأى حديث كهذا.. وتابع سيره إلى كوخه ليجد الشاى جاهزا...

فى إحدى الأمسيات، رغب الدكتور ادوارد ميرديث فى من يفتح البوابات فقد عادت المرأة من المستشفى، ولم يعرف ماذا حصل لها. ثم وصلته فجأة رسالة بأن حالتها قد ساءت مجددا - وهذا يجب أن يحدث ليلاً - وأرسل رسالة لجوان.. هل بإمكانك مرافقتى؟ وأرسل الرسالة مع صبى.. وكلما قراتهارأت عينا ميريام الحادة تراقبانها. وقالت:

أراهن أنه ذلك الرجل ثانية؟

المرأة فى مزرعة (كولد كومفورت) سيئة الحال.

ولم تقل لها جوان المزيد.. لماذا يجب أن تقول لها؟

إنه يستغلك.. إنه يعرف أن كل ما عليه أن يرفع يده لتأتى إليه!

إنه يعجبنى وسأذهب معه.

ربما يعجبنى وسأذهب معه.

ربما قد بدأت تضجر من صداقة هذه المرأة المتشددة التى تريد لكل شئ أن يكون على طريقتها.. وإذا كان عليها أن تعترف بالحقيقة فستقول بأنها بدأت تفضل الحب على الصداقة..

وكانت تنتظر عند بوابة المزرعة عندما وصلت سيارة ادوادر وكانت ياقة معطفه تغطى رقبته. فمع أن الطقس ليس بارداً جداً، ولكن برودة شهر تشرين الثانى تقطع فى العمق. وتحركت بهما السيارة:

كيف حال المريضة؟

سيئة جداً. كنت أؤمن بأن هذا سيحدث.. ولكن يجب أن يحدث هذا بعد يوم متعب. والرشح فى طريقه إلى.

بإمكانك فعل شئ حول هذا.

ماذا؟ أريد أن أعرف؟ فنحن الأطباء لسنا بارعين فى معالجة الرشح.

وهل تحس بالتعب؟

بشكل فظيع.

وفتحت حقيبتها وأخرجت زجاجة صغيرة:

أنا مترددة باقتراح هذه. ولكنها أبعدت عنى الرشح فى الأسبوع الماضى..

ما هى؟

لم أسأل.. لقد تناولتها هكذا. لماذا لا تفعل مثلى؟

فضحك للطريقة التى قالت هذا بها وتناول الزجاجة وأخذ منها جرعة وقال:

أنت فتاة رائعة يا جوان، لقد وضعتنى عند حدى.. لايمكن للمرء أن يموت سوى مرة واحدة.

مرة أخرى دعاها بالفتاة!

شكرا لك.

وتابعا سيرهما، ورائحة الورد تفوح من النهر. ووصلا إلى البوابات، وخرجت لتفتحها واحدة بعد أخرى وتغلقها بعد أن تمر السيارة فيها. ثم عادت للانضمام إليه، وكلما نفخ الهواء فيه جعله يرتجف.. فقالت:

مسكين يا ادوارد!

وأحست بالخجل لخروج اسمه الأول دون القاب منها. ولكنها شعرت بالسرور لأنها فعلت.

ودخل المنزل وبقيت فى السيارة لتنفقوا قليلا. وعندما سألته عن حاله فأجاب:

أنا بخير.. شكرا لك.

والمرأة؟

سيئة الحال. وأعتقد أن تعود إلى المستشفى، ولكن زوجها يضيع من دونها.. فماذا نستطيع أن نفعل؟

إذا سألتنى سأقول لك أن السبب هو البقاء فى هذه المزرعة، معه، مسكينة.

أتعنى إنها تتخيل المرض؟

لا.. إطلاقا. ولكن الظروف التى يعيش فيها المريض قد تؤثر على مرضه. ووصلا إلى أول بوابة. فأوقف السيارة وخرجت جوان لتفتحها.

وعادت إليه فقال لها: باركك الله أنت عزيزة.

لست معتادة أن يقول لى الناس هذا.

حسناً.. أنا أقولها لك الآن. أخبرينى، لماذا تعيشين مع ميريام هوكنز؟

لأنها بحاجة لى وهى لطيفة معى.

الأفضل أن تكونى فى منزل والدك.

وكادت أن تصده، ولكنها علمت أنه يقول الحقيقة.

أجل.. ربما أنت على حق! لقد تغيرت ميريام مؤخراً.. بعض الأحيان تتوقع الكثير منى. أعلم هذا.

اللذين من نوعها دائماً هكذا. عودى إلى منزل والدك يا جوانى إنه عجوز رائع لطيف وواقعى كالفولاذ.

ولكنه يكون خشناً في بعض الأحيان.

الجميع هكذا، ولكنه لا يدوم.. وانت ستتركى البيت لتتزوجى. لن أتزوج.. وأنت تعلم.

بل ستتزوجى .. لأنك ستتزوجينى.

وتغيرت ملامح الليلة كلها فى الحال، واختفى الضباب. وشاهدت النجوم تلتف فى حلقات فوق رأسها، والقمر يتحول إلى دائرة سحرية.. وقالت بصوت يرتجف:

أنت لا تعنى ما تقول؟

ولكننى أعنيه، وأنت تعرفى هذا. فأنا أريدك. وأعتقد أنك لم تدركى هذا. ولكن حياتى مستوحشة وحيدة. وحياة حزينة أيضا. وانا أرى الكثير من المرض والعذاب. وهناك أوقات يكدرنى هذا الأمر.. أريدك.

وأمسكت يده بيدها، وكانت بشرته حارة، وعلمت إنه قادر على أن يغير مجرى حياتها. وتابعا السير دون أن يقولا كلمة. إذ لم يبدوا أن هناك كلمة يمكن أن تصف

هذه اللحظات من حياتهما.

وأخيراً وصلا القرية منه أن يتمهل فهى تريد أن تعرف... ماذا ستفعل؟. وقال لها:

لا تخبرى أحداً الليلة. ولكن قولى لوالدك فى الصباح.. إذا يجب أن يعرف. واذهبى إلى منزلك غداً.. ابتعدى عن ميريام.

سأفعل. وأوقف السيارة خارج بوابة المزرعة، ووضع ذراعه حولها وجذبها إليه:

أعلم أنك ستلتقطين رشحى، ولكننى لا أستطيع منع نفسى! فأنا أحبك كثيراً.

أنا لا أهتم بأن التقط عشرة زكامات منك.

وبعد عشر دقائق. دخلت المزرعة وعيناها ترقصان. عالمها كان كله موسيقى، لم تكن لتظن أنه قد يتغير هكذا.

وبادرتها ميريام بجفاء: ماذا حدث لك؟

لاشئ.. لاشئ إطلاقا.

هل قبلك؟ لابد أن احمر شفاهك قد لصق على فمه.

لاشئ..

أنت تجعلين من نفسك مغلفة.. إذا سألتنى رأيى.

لن أرد عليك الليلة!لن أستطيع تحملك هذه الليلة.. وقالت لها:

لن استمر فى العيش هنا، لن اتحمل. لم أعد طفلة ولن يأمرنى أحد. سأذهب إلى منزل والدى غدا.

حسنا، إذهبى!

واستدارت ميريام غاضبة إنها دائما تتسرع فى اتخاذ القرار، وبعد ساعة ستبكى ندما.. ولكنها لن تأبه لها. وقالت جوان:

أنت قلتيها بنفسك، وهذه هى النهاية.

وصعدت إلى غرفتها لتنام، ولكنها كانت تعرف أنها لن تغفوا فالسحر الجديد قد صعد معها إلى فراشها، وكل شئ من حولها بدا مختلفا.

وغفت قليلا ثم استيقظت. الساعة الآن الخامسة والنصف، ولقد حل الصباح. ونهضت من السرير بهدوء ووضبت أغراضها، لابد أن ميريام تعتقد أنها لم تعنى ما تقول.

ونزلت السلم وحقيبتها فى يدها، وفتحت الباب الخلفى..

وخطت إلى الخارج.. وغادرت المزرعة إلى الشارع، الذى كان ساكنا خاويا.. وشاهدت نورا فى نافذة غرفة والدها. وهذا يعنى إنه استيقظ، واستدارت إلى الباب الخلفى المقفل ونادت..

أبى؟.. أبى؟ هذا أنا.. جوان.

هل هناك من خطب؟ لا.. ولكننى عدت إلى البيت.

سأنزل حالا. وفتح لها الباب

ما الأمر؟ لقد تركت ميريام.

هذا أمر جيد.

وسأتزوج من الدكتور. حسنا.. لقد صدمتينى!

وكان نور المطبخ مضاء، والنار قد خبت فى الموقد.

إذهب واستعد يا أبى.. سأحضر كل شئ لك. وسأكون جاهزة عندما تعود. وعندما نزل من غرفته، ولم يحلق ذقنه بعد، كان لديه الوقت الكافى ليهضم الخبر، فجلس ليأكل:

هل أنت سعيدة حول الدكتور يا جوانى؟

سعيدة جداً يا أبى.

ربما لم تكن تعرف أن آدم يؤمن بالحب. إنه يعترف به كأحد الأولويات فى الحياة. فهو يعطى الكثير من السعادة. ويغير حياة الناس. وعرف من النظرة فى عينيها أن هذا ما تشعر به.

فقال: إذا أنا سعيد أيضا.

لابد أن هذا سيكون موضوعاً تتحدث عنه القرية.. يستطيع تصور ما ستقوله السيدة هارت، وميريام هوكنز أيضا! فالقرية تعيش على الشائعات. وتمتم:

أراهن أن السيدة هوكنز تتشاجر مع زوجها الآن.

هذا لن يجديها نفعا.

إنها ليست بامرأة لطيفة.

ودقت الساعة، وأدرك أن الوقت تأخر أكثر مما أعتقد. فنهض وذهب إلى الباب، فنادته جوان.

أنا لن أعود إلى مزرعة هوكنز يا والدى فلا تفكر بهذا الأمر.

وخرج إلى عمله، وشعر بالفخر بها، كما كان فخوراً يوم مولدها. وشاهدها مستلقية إلى جانب أديث فى الفراش المزدوج.. لقد أحبها.. وكانت كل شئ له.

حصاد الخطيئه

عندما استيقظت فيلوميل فى الصباح التالى أحست بالغثيان ثانية. وعندما عادت من الحمام وجدت تشارلز يرتدى ثيابه.. وتوسلت إليه أن يعتنى بنفسه بعد زكام كان يعتريه.. ثم قالت له إنها لا تشعر بارتياح. فقال:

لابد أن السبب هو شئ أكلتيه ليلة أمس. ماذا أكلت؟ لحم أرانب؟ أم حساء معلبا؟ أنا أشك دائما بالحساء المعلب.

وكانت تعلم أن السبب ليس لحم الأرانب ولا الحساء المعلب. وزال عنها الغثيان ما أن بلغت الساعة الحادية عشرة، وكأنها لم تكن تحس به. ولكنها فى الصباح التالى أحست ثانية بالكرب. وقال زوجها:

إذا استمر الأمر هكذا، فيجب أن يحضر ميرديث ليراك.

وهذا آخر شئ قد ترغب به. ولم تدر ما تفعل، فالعالم أخذ يدور من حولها، وأدركت أن الزمن سيحارب لأجل الحقيقة. ذلك الصباح، وبعد أن خرج تشارلز، اتصل بها كلاين هاتفيا. قال أن لديه شعورا بأن شيئاً ما خاطئ. ولم تستطع الأستمرار فى إخفاء سرها.. فصرحت له به:

هذا أمر مريع، ولكننى أظن.. لا أظن بل أنا واثقة.. أننى حامل..

حبيبتى.. يا حلوتى.. يجب أن نتزوج.. يجب أن نقول لتشارلز، فهذا الأمر يجبرنا. سآتى فى الحال لأراك.

لا يا كلاين.. لا!

ولكن يجب أن آتى.. يجب أن نكون معا فى هذا، فلى نصيب فيه. وهذه مسؤوليتى!

نصفها يريده أن يجئ، والنصف الآخر يرفض، ولكنها أصرت على أن تواجه هذا لوحدها. ثم انقطع الخط.

أمامها الآن ثمانية أشهر، وربما أقل. وخلال هذه المدة هناك جسور يجب أن تقطعها، والكثير من التلال لتتسلقها. ثم عادت إلى اعتدالها عندما تذكرت أن تشارلز

قال لها إنه يريد الغداء باكرا، وهى لم تحضر شيئا بعد.. منذ أن شفى من زكامه أخذ يأكل كالحصان. وعاد إلى المنزل ثم غادر فوراً بعد الغداء، فهناك مشاكل فى مزرعة نائية، حيث حاول صاحبها مرتين الأنتحار. وقال لها:

سوف أتأخر كثيراً..

عندما وصل كلاين، لم يدق الجرس، بل دخل رأسا إلى غرفة جلوسها الخاصة. وأخذها بين ذراعيه.. تلامسها معه غير كل عواطفها.. ثم قال:

هل يعلم تشارلز؟

ليس بعد.. لا أستطيع إخفاء الأمر عنه طويلاً. وله الحق أن يعرف.. والطبيب شك فى الأمر.

قد نحتاج إلى رجل طيب مثله. سوف تأتين معى بالطبع؟

ووقفت تحدق به:

آتى معك؟ ولكن كيف أستطيع؟

لأننى أحبك، لأننا لبعضنا، لأنه ليس من سبب يدفعك لأن تبقى مع تشارلز.

ولكنه زوجى.

انه ليس زوجك.. وهنا المشكلة. لقد كنت تعيسة بائسة وعليه أن يطلق سراحك.

ولكننى لا أستطيع الهرب منه.

أنت مضطرة.. فهذا يعنى كل شئ لنا.

ووضع خده على خدها، وأحست بحرارته تدخل إلى جسدها. وحاولت أن تشرح له أن هذا ليس ذنب تشارلز، ولا يمكن لومه، والملامة تقع عليها لوحدها... وقال لها:

كل هذا لا يجدى، فأنا من سأهتم بكل شئ يا عزيزتى.. أريد أن آخذك معى الآن، هذه الليلة، وإلى الأبد.

لم تكن تفكر أبدا بالهروب، فهذا يعنى الفراق النهائى مع رجل كان طيبا معها. ليس لأنها تحبه، فقد مات هذا الشعور له خلال شهر عسلهما. ولقد وجدت السعادة مع شخص آخر.. ولكن يجب أن لاتفعل ما هو خاطئ.. وتابع قوله:

هذه مهمة رجل، مهمتى. ولن أتخلى عنها.

وسمعا صوت سيارة تشارلز قادمة، ثم توقفت، تبعها صوت أقدامه على حصى الباحة فقال كلاين.

يجب أن تذهبى من هنا.

وذهبت، وأحست فجأة أن ليس لها مكان تذهب إليه، لا مكان تبكى فيه، أو أن تبقى لوحدها، فخرجت إلى المرجة التى أمام المنزل. ولكن العشب كان مبللا، وحذاءها رقيق..

وسارت حول المنزل إلى السقيفة حيث استطاعت سماع آدم وهو يعمل. وأحست أنها إذا لم تتكلم مع شخص ما الآن، فسوف تجن. ورفع رأسه إليها، إنه رجل ضخم البنية، وشعره الرمادى يتهادى مع حركة جسده، سترته الصوفية مليئة بالثقوب، ولكنه مشغول، وسيبقى هكذا إلى أن يموت. وتملكها شعور أن هاتين العينين اللتين عادتا إلى زرقة لون عينى طفل، بإمكانها أن تقرأ أفكارها، وإنه يعرف كل ما يحدث. وقالت له:

أشعر بالرهبة.

وجلست على جذع الشجرة التى يقطع الحطب عليها، فهى المكان الوحيد لتجلس عليه.

ولم يحاول أن يواسيها، ربما لأنه يعرف أن الرجل لا يستطيع أن يقدم لها المواساة لما تحس به. ثم قال بعد دقائق.

بعد أسبوع أو أكثر قليلاً ستكونين أفضل حالا. فالأمر سئ عند بدايته وستتحسنين قريباً.

يقولون هذا للأشخاص اللذين يموتون.

وهم يتحسنون.. يتحسنون كما لم يكونوا لسنين طويلة.. لأن النداء وصل.

النداء؟

كلنا ننتظر النداء، حتى منذ لحظة ولادتنا.. إنه نداء لطيف. سوف تمرين بالمحنة. وفى النهاية سوف تسعدى.

وتمنت أن يستمر هذا إلى الأبد، وأن تحصل على المواساة من رجل طيب له صوت لطيف ويدان خشنتان.. وتابع قوله:

نحن جميعا نأتى إلى هذه الدنيا، وتستقبلنا.. وهذا مفيد، فليس هناك ما هو أجمل من الحصول على مخلوق صغير يكون لك يا سيدتى.

إذا فهو يعلم كل شئ..

ووقفت لتخرج من السقيفة وتسير فوق حجارة الفناء.

وتمنت لو أنها لم تترك الأمر لكلاين، فهو لا يعرف تشارلز كما تعرفه هى... فهو قد يغضب كثيراً، ولكنه لا يتحول إلى العنف أبداً.. فصمته البارد هو أقسى سلاح عنده.. ويصبح كالصخر الذى لا ينكسر.

ودخلت إلى غرفتها.. المنزل كان صامتا، ثم وجدت أنها لن تتحمل كل هذا الصمت، فقد أصبح كالشبح المرافق لها. وخرجت إلى الردهة، حيث سمعت كلاين يتكلم.. وانتظرت ثم تابعت طريقها، والساعة تعلن الوقت بدقاتها، وأحست أن هذه الساعة هى بكل حياتها.. وفتحت الباب.

كان الرجلان يجلسان على طرفى المدفأة. وما أن دخلت حتى سمعت تشارلز يقول:

أجل.. ولكن صيد السمك هكذا أمر سهل، كنت دائما أظن هذا، ومع ذلك فأنا أصطاد بتلك الطريقة.

صيد السمك! إنهما يتحدثان عن صيد السمك؟ وأحست أن عالمها كله قد انهار.. وتصاعد الدم إلى وجهها. وسمعت نفسها تقول:

صيد السمك! بينما كل شئ عند مفترق الطرق! صيد السمك!

وسقطت على الأرض مغشيا عليها.

واتصل كلاين بادوارد ميرديث الذى كان يزور معلم المدرسة، فى القرية المقابلة من الجهة الأخرى للوادى. وطلب منه المجئ بسرعة. وحملها كلاين إلى سريرها، ومددها هناك وسكب فى فمها بعض الشراب. ووقف تشارلز يراقبه طوال الوقت، دون أن يقول شيئا.. كان المشهد وكأنه من مسرحية حيث يقوم العشيق بكل شئ بينما الزوج لا يتحرك. حتى أن كلاين لم يكن ليدرك أن تشارلز موجود.. ووضع رأسه على رأسها:

أنا هنا يا فيلوميل.. أنا هنا أساعدك، حاولى أن تبتلعى هذا، يجب أن تشربى.

وابتلعت من الشراب قليلا، ثم بقبته، وتمتم تشارلز:

إنها تفعل هذا دائما.

وفتحت عيناها:

كلاين؟

نعم.. أنا هنا. سوف تتحسنين، فلا تقلقى.

والتفتت إلى تشارلز.. آسفة جدا.

لا بأس.

ووصل إدوارد ميرديث بسرعة، وأوقف سيارته أمام المنزل. ولوح لآدم العجوز الذى يعمل فى السقيفة، وبدا له من غير المناسب أن يكون هذا الرجل (حماه).. وصعد إدوارد إلى غرفة فيلوميل فى الحال.. وشاهدها مستلقية فى الفارش وكلاين يركع أمامها يلاطفها، وتشارلز يقف مراقبا. الأمر الغريب أن الطبيب لم يدهش لهذا، وكأنه يعرف كل شئ. وتخلص من الرجلين وأقفل الباب، وعاد إليها.. فقالت:

أنا حامل..

والطفل ليس لتشارلز.. لاتقلقى فهذا ليس من شأنى.

وحدثته عن سنين الأحباط، والعذاب والشك، وعن حياتها التى تبتعد ببطء ودون تراجع، وزوجها الحارس على أبواب مقفلة ليمنع عنها السعادة الدنيوية، ولا يزال متعلقا بهذا الوضع لأنه يؤمن إنه حق.. وقالت متساءلة وهى تشرق بالبكاء:

ماذا سأفعل؟

أنا لست من المؤمنين، وربما تعرفين هذا. ولكن شئ ما مؤكد. ما فعله زوجك بك حطم حياتك، والأسوأ إنه يرفض الحديث عن هذا الواقع، فهو من وجهة نظره لا يهتم، ولكنك أنت تهتمين.

أنا آسفة جدا عليه.

لا يجب أن تكونى حمقاء.. أعتقد أن الطفل لكلاين ستينغز؟

أجل.

ما ستفعلينه يجب أن تقرريه بنفسك، ولكن من وجهة نظرى هناك طريقة واحدة. ويجب أن لا تهتمى بكلام الناس. فلا يمكنك الأستمرار فى مثل هذه الحياة.. تذكرى هذا. أعلم.

وعندما أحس بها وقد بدأت تغفوا رفع الغطاء فوقها، وتسلل خارجا.. ليجد الرجلين جالسين فى غرفة الجلوس يشربان الشاى بطريقة عادية، وكان شيئا لم يحصل. ولم يكن هناك بالطبع، ما يستطيع أن يفعله..

فى الفناء الخارجى، توقف ليتحدث إلى آدم.. وقال آدم:

الطقس سيكون جميلا غداً يا سيدى.

لا تنادينى بسيدى.. فسأكون صهرك عما قريب.

سأشتاق لجوانى.

لجوانى الحق بحياة خاصة.

وأطرق العجوز:

أعلم .. عندما يكبر المرء، وينظر إلى الحياه خلفه، يتساءل لماذا يعانى الشبان كل هذا.. أنا أعنى السيد والسيدة لويس. لم يكن عليها تحمل كل هذه المشاق..

معك حق فى هذا.

واستفاقت فيلوميل فيما بعد والغرفة قد أظلمت.. وكان تشارلز معها. فقد أشعل شمعة ووضعها فى صحن.. كان دوما يدرك خوفها من الظلمة.. وكانت تحترمه للطفه هذا معها. وراقبت النور الأصفر للشمعة لبعض الوقت، وكأنه يثير ذكرى خاصة فى نفسها.. ثم استدارت لترى تشارلز يجلس على كرسى قرب النار. الرجل المسكين! كم كنت قاسية عليه! إنه يجلس هنا ليعرف ما هو المستقبل له. وقالت له:

أنا بخير يا تشارلز.

وفى الحال كان بقربها.

هذا أفضل! كنت أخشى أن يكون هذا اليوم صدمة عليك.

ولك أنت أيضا.

وسألها إذا كانت تريد الشاى.. وقالت أن من الأفضل أن تعود للنوم.

إذا من الأفضل أن أتركك لترتاحى.

وفى بعد ظهر اليوم التالى جاء إدوارد ميرديث، وكانت فيلوميل قد صحت وهى تحس وكأنها مصابة بضربة على رأسها. وكانت قد خرجت إلى غرفة الجلوس.. فاستدارت إليه:

كم جميل أن أراك.. أنا بخير اليوم.. ولقد سمعت لتوى من تشارلز إنك ستتزوج من جوان.

أنا سعيد لأبتهاجك.

إنها من النوع الذى يوثق به.. وستكون زوجة طبيب مثالية.

ولاحظت من تعابير وجهه إنه يريد الحديث فى شئ أخر:

أتريد التحدث عنى؟ لدى إبريق شاى يغلى. اجلس وسأحضر صينية الشاى. لقد ذهب تشارلز إلى بلدة (مارشهام) لقد ألقى القبض على أحد صبيه الكورس فى الكنيسة بتهمة السرقة. وسوف يدافع عنه.. إنه بارع فى هذا.

واختفت فى المطبخ ثم عادت تحمل صينية الشاى وعليها طبق من البسكويت. وجلسا فى الصوفا جنبا إلى جنب. وقال:

والآن.. ماذا سنفعل لأجلك؟ ساكون بخير.

ليس تماما. يجب أن تدركى أن هذا الطفل سيأتى، وتشارلز سيقبل به، أعلم هذا. ولكن هذا ليس كل شئ. فالنقطة الأساسية أنك تحبين كلاين سيتغنز.

ولم تنكر فيلوميل هذا.. فلديها إحساس أن ادوارد له من بعد النظر أكثر مما تظن. وهو يعرف أكثر مما تتوقع منه. وتابع:

لن يكون هناك من مشكلة لو أن زواجك كان طبيعيا، ولكنه ليس كذلك. قد تظنان أن بإمكانكما العيش معا كرفاق ولن يكون هذا زواج حقيقى.. ولكنكما مخطئان. فلا أحد يمكنه محاربة الطبيعة. فهى دائما تأخذ حقها ولو بطريقة قاسية وأنا أريدك أن تفهمى هذا.

لقد دبرنا أمرنا حتى الآن.

أظن أنك مخطئة بهذا.. فصمتك ليس على ما يرام. وهذا أمر يلاحظه الطبيب.. أنت غير سعيدة. قد لا ترغبى

فى قول هذا، ولكن هذا هو الواقع وسيكون الأمر أسوأ.

سأخاطر. ما حصل ليس غلطة أحد. وفى نفس الوقت فهذا يمثل وضعا يجب أن لا تصل إليه الأمور ثانية. وزوجك يجب أن يبتعد عنك.

لن يفعل أبدا. ولا أستطيع أن أطلب منه.

لا فرق.. سوف أتحدث أنا إليه.

لا أريدك أن تجرحه..ألا ترى إنك لن تستطيع فعل شئ يعوض عن الأمر أنا.. لا أريد التحدث بالموضوع.

وسمعت صوت سيارة تشارلز، وأرعبها واقع إنه عاد. فخرجت من المنزل. ولم تدرك أنها بهذا قد تركت الجو يخلو أمام إدوارد ليحدثه.

وخرجت لتسير على الطريق، وشاهدت الرجال يعملون فى الحقول يتسابقون مع النهار. ومرت أمام مخزن العلف الصغير عند الزاوية، فسمعت صوت نحيب. فتوقفت. أبواب المخزن الكبيرة كانت مفتوحة فدخلت منها لتشاهد بابين متشابهين فى الجهة الأخرى من المخزن ومفتوحان أيضا، ومن خلالهما برز منظر الوادى الذى يستحم فى نور الشمس. وكان فى المخزن آلة قديمة لدرس الحبوب

تقف فى الزاوية.. واستدارت نحوها حيث سمعت النحيب ثانية.. هناك فتاة تجلس داخل الآلة تبكى بتلك الطريقة التى يظن الرجال أن النساء يتمتعن بها. وعرفت فيلوميل من هى: ليديا؟

وتقدمت نحوها. فهى تحب ليديا، ولو مجرد أن فيها شئ من آدم.. كانت ترتدى ثياباً رخيصة من التى تعجب فتيات الريف.. فجلست بقربها على التبن.

ما الأمر يا ليديا؟ ماذا حدث ليجعلك تبكين هكذا؟

وكانت ليديا فى مزاج قابل للحديث. لم تستطع قول كيف حدث لها هذا، كل ما تعرفه أنها لا زالت تحب هيوغ بارتون حتى وهى تعلم إنه غير جدير بالثقة. ليلة أمس بدا لها أن تمزح معه... شئ ما حدث فى جزء من الثانية، فأخرجت هيلدا، ترتدى أجمل ثيابها، إلى الحديقة. وفى العتمة خدعت هيوغ. ربما فى مؤخرة عقلها كانت ليديا تفكر بأن تعود لتخرج معه. وفجأة خرجت المزحة من يدها، فقد غضب هيوغ وخرج مع بيغى هينسون بدلا منها. وعلمت أنها خسرته إلى الأبد.. وقالت فيلوميل:

أليس من الأفضل أن تخسريه الآن بدل أن تخسريه

هذا لا يهمنى.. لا يهمنى.

أليس هناك شبان غيره؟ أنت فتاة جميلة ولابد أن هناك الكثير من الشبان يرغبون بك إذا شجعتهم قليلا.

لا أريد سوى هيوغ. وعادت للنحيب ثانية:

ماذا تقول والدتك؟

إنها لا تعرف شيئا.. هى وأبى لا يعلمان. ولكننى أخبرت جدى ولقد ساعدنى، وقال ما تقولينه أنت.. ولكنه لم يفعل شيئا.

ربما أنا وهو على حق. وربما ليس هناك ما يستطيع أحد فعله.

ولكننى أريد هيوغ. أعتقد أن بإمكانه أن يؤلك كثيرا.

أنا متألمة جداً الآن.

لا تكونى سخيفة يا ليديا.. فكلنا مررنا بعلاقات قبل أن يأتينا الرجل المناسب.

فوقفت ليديا متحدية وقالت:

لقد أتى الرجل المناسب لى، وأعدك أن بيغى هينسون لن تحصل عليه!

حظا سعيدا! وتركتها لتخرج من الباب حيث كانت الأبقار عائدة إلى الحظيرة. وما أن وصلت إلى الشارع حتى التقت بهيوغ بارتون. فقالت له:

مساء الخير.

أعتقد إنك لم تشاهدى ليديا جايميس هنا؟

لا.. لم أشاهدها.

لقد تشاجرنا ليلة أمس.. أعتقد أن فتيات القرية كلهن سوء. يظنن إنهن جميلات ويحاولن التلاعب بالشاب.

إنه شاب فاسد.. ولكنها قالت له:

إترك ليديا وشأنها يا هيوغ. فهذا يفيدك أو يفيدها. على كل الأحوال لماذا عدت إلى القرية؟ لا أعتقد أن المكان هنا يناسبك.

وتكلف ابتسامة مزيفة وهو يتعداها ويكمل سيره قائلا بصفاقة: أنا أمتع هذه الفتاة.

وأكمل طريقه إلى المزرعة الحمراء حيث شاهد رجلا غريبا يقف هناك.

هل تنتظر مقابلة السيد جونسون؟ ولكن ألم أرك فى مكان ما من قبل.

وأدرك لتوه إنهما التقيا من قبل فوالد هيوغ قاض فى المقاطعة المجاورة، ولقد شاهد هذا الرجل ووالده يرسله إلى السجن بتهمة الأحتيال. وبهذه المعرفة كان يجب عليه أن يحذر السيد جونسون. وقال الرجل:

أجل لقد تقابلنا من قبل.. لقد أرسلنى أبوك إلى السجن لثلاث سنوات لجرم لم أرتكبه أبداً. ولكننى أريد العمل هنا. فقد تلقيت عرضا للعمل من صاحب المزرعة.

انتظر فى المخزن وسأكلم صديقى صاحب المزرعة:

ودخل الرجل المخزن، وعاد هيوغ بعد قليل ليقول له:

صديقى يظن بأنك غير ملائم للعمل هنا، ويريدك أن تذهب.

اوه.. هكذا إذا.؟ ولكنه أرسل بطلبى وعليه أن يقابلنى لأنه مدين لى بأجرة السفر..

وكم تريد.

وسمى الرجل مبلغا ضخما.. وشعر هيوغ أن هذا ليس وقت جدال فدفع له، وقال:

والآن إذهب من هنا! ووضع الرجل المال فى جيبه.

لن أذهب.. يجب أن أحصل على طعام.

وبدأ هيوغ يغضب.. ولكنه دخل المنزل، ودون أن يستشير أحداً وضع الطعام والخبز فى طبق واحد وأحضره إليه: هاك بعض الطعام.

وجلس الرجل ليأكل.. وقال وهو يبتسم ابتسامة بشعة!

سأقضى الليلة فى هذا المخزن.

قد يرسل صديقى فى طلب البوليس.. فأنت مقتحم للمنزل غير مرغوب فيه.. وأنت لا تريدنى أن أخبره.. وغضب الرجل، وكما قال لهيوغ كان إسمه (البرت إيرث)، وصاح بهيوغ:

إذهب أنت وهو إلى الجحيم!

ولكمه، وأصابت قبضته ذقن هيوغ، وهذا ما يكفى لأن يفقده سيطرته على أعصابه، وهكذا رد له الضربة، وبقسوة. وفاجئت اللكمة إيرث، فوقع فوراً إلى الأرض ليصطدم بالزاوية ويضرب رأسه عند حافة دراسة الحبوب الحديدية. الصوت الذى صدر عن اصطدامه كان مريعا. وعندما تقدم منه هيوغ وجد أن رأسه قد انشق وأخذ الدم يخرج منه بغزارة.. وأسرع هيوغ وقد أذهله الفزع ليطلب النجدة. فى وقت كان جورج جونسون يخرج من المنزل.

تعال بسرعة! لقد ضربت الرجل، ولقد تأذى كثيرا.

ولماذا فعلت هذا بحق الجحيم؟

لقد ضربنى هو أولا.. سأتصل بالطبيب.. إذهب إليه.

واتصل هيوغ بادوارد ميرديث، وأخبره دون أن يكون واضحا فى كلامه، فقد أصيب بذعر طفل يحاول أن يشرح شيئاً. وقال إدوارد: سأصل حالا.

وعاد هيوغ ليساعد جورج.. وشاهده يحاول مع شخص آخر أن يدخل الرجل المنزل، ورجلاه تتدليان خلفه، وكان لونه أبيض كلون ورقة الكتابة، وغائب تماما عن الوعى.. وأدخلاه إلى المطبخ.. ووضعه جورج، الذى يعرف القليل من الأسعافات الأولية، فى كرسى مريح وربط له رأسه. إذ يجب فعل شئ ما لأيقاف نزيف الدم. وإذا استمر النزيف هكذا فسوف يموت سريعاً. وأحس هيوغ بالسقام من الخوف والرهبة. ما هذه الأمسية! وصدمه أن صداقته لجورج قد تنتهى عند هذا الحد... ثم ماذا؟

وانتظروا سماع صوت سيارة إدوارد ميرديث، وكانت تلك الساقية من الدم الأسود تنساب من ذلك الرأس المهشم طوال الوقت والمتقد هيوغ يائسا: هذا هو الجحيم الصرف!

أوقات عصيبه

فى كوخ جدها، كانت ليديا تعترف ببؤسها الكامل لآدم. ولم يكن يريد أن يستمع إليها فى هذه اللحظات، فهو يحاول الأنتهاء من الشاى قبل أ يغيب ضوء النهار، إذ يريد الأنتهاء من تنظيف بعض الكراث فى السقفية قبل حلول الظلام. وقالت له:

أشعر بأننى فى حال بائسة.

إنه يعرف مشاعرها تماما، فحيوية الشباب تترافق دوما مع لحظات وخز ضمير بائسة. فقد كانت ليديا تحس أن الحياة لا تستاهل العيش إذا لم تحصل على الشاب الذى تريده. وقال لها آدم:

إنظرى يا ليديا.. إنه ليس الشاب الوحيد فى العالم.

إنه الوحيد بالنسبة لى. لم يكن يجب أن أخدعه بتنكر هيلدا فى ثيابى كما فعلت.. لقد بدا الأمر مضحكا ساعتها.. لقد كنت غبية.

هذا سخف، إذا كان لا يستطيع تحمل المزاح فى مثل عمره فهو غير جدير بك.. اصمتى الآن.

لقد سمع صوت جوان تعود إلى المنزل. ولاحظ من الأصوات أن أحدا معها. قالت ليديا:

من هذا الذى معها.

وكان إدوارد ميرديث، التقاها فى طريقه وهو يخرج من المزرعة الحمراء.. وقالت جوان عند وصولها إليهما:

لقد حصل حادث فى المزرعة الحمراء.

وللحال اتسعت عينا ليديا، وقد خافت أن يكون هيوغ قد أصيب. وارتكب إدوارد غلطة بأن قال الحقيقة. هيوغ قد ضرب رجلا متشرداً تقدم للعمل فى المزرعة، وأضاف:

لابد أنكما سمعتما سيارة الأسعاف قادمة؟

وسألته ليديا:

وهل إصابة الرجل سيئة؟

لقد أصيب بجرح بالغ وسئ. لقد صدم دراسة حبوب هناك والحديد.. حديد! وإذا مات فسيكون الشاب فى ورطة كبيرة. ولكنه كان حيا ساعة تركته، مع إنه ينزف كثيرا.

سأذهب إليه.. سوف يحتاجنى!

فمد أدم يده المتجعدة اللامعة البشرة ليمنعها:

إنظرى يا ليديا.. لا تبدأى بالتصرفات الغريبة! هذا من شأن جورج جونسون لوحده! وليس من شأنك.. ولا فائدة من حشر نفسك بهذا.

ولكن إذا كان فى ورطة فقد يحتاجنى.. وأريد أن أكون معه.

هناك نوعان من الورطات فى العالم، ورطة للرجال، وورطة للنساء.. والنساء الحكيمات لا يحشرن انوفهن فى أشياء ليست من شأنهن، ويتركهن الرجال يهتمون بمشاكلهم.

ولكنه سيحتاجنى.

لن تجدى إنه لا يحتاج إليك كما تظنين. وما هو بحاجة إليه الآن رجل له رأس كبير يفهم بالقانون. لقد أذى غريبا، وأرجو الله أن لا يموت هذا الغريب.. لأنه

عندها سوف يتورط.

وانفجرت ليديا ببكاء هستيرى فأخذتها جوانى بين ذراعيها لتهدئها.. شئ جميل حول جوانى، إنها لا تفقد صوابها بسهولة ودائما تتصرف كما يفعل والدها.

وأخذ آدم يفكر بفيلوميل لويس، وزوجها المريض..

رجل وامرأة.. وعلاقة حب، يمكن أن يتلاعبا مع الزمن، فلن يكون الأمر مهما.. ولكن عندما يكون هناك حياة جديدة فى الطريق لأن تولد، فهذا يجب أن يجعلهما يسيران حسب الساعة.

كان لا يزال جالسا يتحدث إلى ادوارد عندما وصلت السيدة هارث.. كانت تريد أن تتحدث إلى شخص ما.. فحسابات الطوابع لم تكن دقيقة وسوف تضطر لدفع الفرق من مالها الخاص لأن شيئا ما كان مخطئا فى تلك الحسابات.

ولم يصدقها آدم، فما تريد أن تتكلم فيه لا علاقة له بالطوابع. لقد سمعت سيارة الأسعاف وتريد معرفة ما جرى بالتفصيل. فمصيبة السيدة هارت أنها لا تطيق أبدا أن تكون مقصرة فى معرفة أى أخبار.

إذا لقد حصل حادث مروع فى المزرعة الحمراء؟

وسمعت أن رجلا قد أصيب إصابة خطرة.

ولم يرد عليها ادوارد، وأعجب آدم بصمته.. واستدارت إلى آدم.

هناك شخص يريد أن يأتى ليبقى فى القرية لبعض الوقت إنه شاب قريب لى وكان مريضا ونصحه الطبيب أن يمضى بعض الوقت فى الريف.

أليس وقتا غريبا للمجئ إلى الريف؟

لقد كتبت أمه تسألنى إذا كان هناك من لديه غرفة فارغة له ويستطيع أن يطعمه، إنهم أثرياء ويستطيعون الدفع.

وسألها آدم:

أى نوع من الشبان هو؟

إنه ابن ليلى.

وتذكر آدم ليلى هارت عندما كانت شابة إنها أجمل بكثير من شقيقتها وطالما أعجب بها وتابعت السيدة هارت:

إنه شاب جميل ومتعلم.

آه..! وكم عمره؟

تسعة عشر.

وفكر بغرفة النوم عند زاوية السلم. إنها غرفة صغيرة بالطبع ولكنها تكفى، ونظيفة. وستبقى نظيفة لأن جوانى نظيفة كرأس الدبوس. وفكر بليديا، المتشوقة للحب.. وبدرب العشاق، والفراغ فى حياتها.. فسأل:

وكم من الوقت سيمضيه هنا؟

أنت لا تفكر بتلك الغرفة الصغيرة عندك؟ حسنا.. إنها فكرة رائعة!

على أولا أن أسأل جوانى.

أنت تذكر ليلى أليس كذلك؟ لقد كنت شغوفا بها.. ألم تكن؟

لا أذكر شيئا من هذا.

إنه كاذب، ولكنه لا يريد أن تلوك ألسن القرية مثل هذه الأمور، ولا يمكن له أن يثق بالسيدة هارت قدر أنملة.

إذهبى الآن يا إثيل.. وسأتكلم مع جوان. ستوصل إليك الخبر صباحا.

وعندما ذهبت استدار الطبيب إلى آدم العجوز وقال:

أنت لا ترغب فى تأجير أحد هنا.. بالتأكيد؟

أنا أفكر بليديا.. ويبدو إنه شاب جيد..

أجل ولكن ما شأن ليديا به؟

إنه دم جديد.. هناك أوقات فى حياة كل إنسان يحتاج فيه إلى دم جديد. ودم جديد هو ما تحتاج إليه ليديا الآن. وإذا حصلت على شاب جميل وفى التاسعة عشر، فهذا سينجح. وإذا وافقت جوانى سأوافق.

ومرت لحظة صمت، وأخذ الطبيب يلعب بلفافة دخان أشعلها لتوه ثم هز رأسه وقال:

أنت عجوز عظيم!...

التهاب حنجرة تشارلز بدأ يقلق فيلوميل.. وأصبح قلقا، مما يظهر إنه يمر فى وقت عصيب.. ولقد عادا الآن إلى نقطة البداية. ولم يكن يشير إلى الصعوبات التى تواجههما.. سوف يترك الأمور تسير كما هى يراقب تغيرها أثناء الحمل، وسوف يتلقى الطفل وكأنه له. ولكن جدارا عاليا كان قد ارتفع بينهما.

ربما يكون أحد اوجه انجذابها لكلاين هو إنه دائم الحديث ولقد أصبحت تمل من هذا الصمت المطبق حول تشارلز.

ورأى تشارلز أن القرية بحاجة إليه. فيجب أن يفعل شيئا لإيقاف ألسنة النساء المتسببة بكل هذه الفضائح.

ولكن بالنسبة له الصمت من ذهب وهذا أمر لا يستطيع تغييره.

وبتفكير فيلوميل فى الماضى أصبح واضحا لها أنها كانت غبية لأن تترك زواجها يستمر كما بدأ. كانت وحيدة ولم تستطع أن تتقاتل مع تشارلز، كانت تعلم أنها تخافه، وتهتم به، وتكره أن تؤله، وتكره أكثر أن تتخلص منه من حياتها.. واستطاعت الآن أن تدرك أنه كان عليها أن تتصرف منذ البداية، عندما أطبق البرود أول مرة على قلبها. وتصاعد بؤسها من جراء عدم اكتمال حياتهما.

كان آدم يجلس فى كوخه يشرب الشاى لوحده عندما سمع صوت سيارة تقف أمام بابه. ورأى سيارة صغيرة لماعة. وعلم أنها لابد أن تروق لليديا. وخرج منها شاب صغير جميل الطلعة له وجه مشرق وعينان زرقاوان. وآدم يحب العيون الزرقاء. ويكره العيون السوداء التى تشبه عينا عنزته.

وتقدم الشاب من الباب الخلفى.. ماذا يريد هنا؟ وابتسم له الشاب المتمدن بأدب:

لدى رسالة من السيد آدم جايمس..

تفضل أدخل.

ودخل الشاب إلى الكوخ كان شابا لطيفا. وآدم يحب اللطفاء. وقال:

لقد أردت أن أعيش فى مكان ما فيه حقول ريفية.. أهلى من الريف وأنا معتاد على حياة القرية. هذا مكان جميل.. إنه يعجبنى.

أنا أتناول فنجان شاى وبعض البسكويت.. هل تشاركنى؟

وأشار إلى الطاولة.

أنا سعيد لقدومك.

اسم الشاب كان بيرتى كلنت.. وأخذه آدم ليريه غرفة النوم ومع إنه قال أنها صغيرة، فقد بدا إنه لا يبحث عن مكان أكبر.

أنا أدرس تحضيرا لأمتحاناتى، وأريد مكانا هادئا. وستناسبنى الغرفة إذا كنت لن أضايقك؟

سأسر جداً لوجودك هنا.

وعادا إلى تحت لأكمال فنجان الشاى. وقدم له بعض البسكويت الذى صنعته مود. وقبل أن ينتهيا، مد بيرتى يده وأخرج نقوده وأعطى آدم أربع قطع من فئة الجنيه:

لقد قالت أمى أنك قد ترغب فى تأمين على الأيجار.

وما هو هذا؟

إنه شئ لثبات إننى قادم حقاً.. هذا هو المكان المثالى لى، فلا شئ قد يبعد فكرى عن الأمتحانات. سأحاول جهدى أن أنجح.

آه..!

وأخذ آدم يفكر بليديا.. وأعتقد أن من اللطف أن يعرض هذا الشاب المال عليه، فأخذه شاكرا. وكانا قد اتفقا تماماً عندما سمع وقع أقدام إمرأة.. وبعد لحظات دخلت ليديا. وكانت مهتاجة ولاشئ يماثل جمالها وهى مهتاجة بعمل ما.. وشك آدم فى إنها لم تلاحظ وجود بيرتى.. وقالت:

جدى.. لقد تركت حقيبتى فى المكتب وأنا ضائعة بدونها. ولن أستطيع إخبار أمى ستغضب منى.. ماذا سأفعل؟

أظن أن عليك أن تتركيها هناك هذه الليلة.

ولكن المكتب لا يزال مفتوحاً. وأستطيع الوصول فى الوقت المناسب.. وسأستعيد الحقيبة ولن تعرف أمى.

وقدمها لبيرتى كلنت وقال:

إنه قادم إلى هنا للسكن لفترة لأنه يدرس لأجل امتحاناته.

وقال الشاب الوسيم:

ماذا أقول.. لا أريد التطفل ولكن سيارتى فى الخارج وأستطيع أخذك إلى المكتب بسرعة.. هل سيفيد هذا؟

وأخذت عيناها ترقصان، وأدرك آدم أن ذكرى هيوغ بارتون وكل ما كان يعنيه لها قد ماتت دفعة واحدة وقالت بحياء:

لا يمكن هذا؟ لا يمكن حقا!

إذا كان جدك لا يمانع لن يستغرق الأمر دقائق، صدقاً.

فقال آدم مداعبا:

ولكن لا تسرع! الأفضل أن تتأخر وتبقيا سالمين من أن تسرعا ويصيبكما شئ.

ولم يكن ليعتقد أن فكرته سوف تعمل بهذه السرعة. وهناك المزيد أمامه لا شك. فهذه مجرد البداية. بداية القصة (فى يوم من الأيام) التى تهمه كثيراً. وأخذ يضحك لأنه لم يستطع منع نفسه عن الضحك. ودخلت جوان فجأة:

ماذا دهاك الآن يا أبى؟ هل هناك ما يضحك.

ولم يقل لها. فهناك بعض الأسرار يجب على الرجل أن يستبقيها لنفسه.. واستمر فى الضحك.

وكان على آدم فيما بعد أن يعترف بأنه منذ مجئ بيرتى ليسكن معه تلاشت كل عاطفة فى قلب ليديا تجاه هيوغ ولا شئ أرضاه أكثر من هذا. ما عدا إنه كان يتمنى أن لا تقاطع ليديا بيرتى فى دروسه. لأنها كانت ملتصقة هناك كثيراً. وذلك المساء تحدثا وهما يحتسيان الكاكاو قرب النار. وكانت جوان قد خرجت بالسيارة مع ادوارد ليذهبا إلى تلك المزرعة ثانيه. وقال بيرتى أن عمه يعمل فى إرسالية نائية فى جزء غير بعيد من العالم.

هناك يستطيع الأنسان أن يقدم المساعدة للناس حقا.

إنه نوع من العمل سيناسب قسيسنا تماما!

ولكنهم لا يريدون زوجات هناك. وعمى يقول إنه عمل تكريسى.

آه!

إنه أمر وكأنك كبرت مع شئ ما، ولا تستطيع الأستغناء عنه.

سأبلغ السيد لويس عنه.

لن يقفز ليمسك بها.. فالمكان هنا مريح أكثر بكثير له.

ربما ليس مريحا كما يبدو.

فى اليوم التالى أقبل كلاين ستيغنز باكرا، واختلى مع فيلوميل فى غرفتها يتكلمان ثم ذهب كلاين إلى تشارلز واختلى معه لمدة ساعة.. لابد أن هناك شيئا يجرى!

وأخذ آدم الحطب إلى باب المطبخ حيث سمع صوت فيلوميل تبكى فى غرفتها.. كانت تبكى بحزن إمرأة بطريقة طفولية. ستلد طفلها هنا بالطبع.. وستسعد به، وسوف يتقبله الناس على أنه ابن القسيس.

كلاين جاء اليوم وهو يصمم على أن ينهى الأمر مع تشارلز. وراقبتهما من غرفتها وهما يسيران فوق المرجة. كانت تعرف عما يتكلمان وهذا ألمها. فالرجل الذى يحبها بعمق، يتوسل لأجل قضيته، والرجل الذى يظن نفسه أنه الأساس يحس إنه مخطئ، ولكنه يبقى صامداً. فتشارلز لم يكن ليدرك أبداً ماذا فعل. ولن يدرك أبداً.

وتساءل آدم ما إذا كان عليه الذهاب إلى تشارلز لويس ليطلب أجره فهذه ليلة القبض، ولكنه لم يكن ليفعل

هذا. وتقدم من الباب الخلفى فسمع كلاين يتحدث إلى فيلوميل... لقد توقفت الآن عن البكاء، وسمع صوت التسيس يقطع الردهة.. لقد ذهب ونسيه...

شئ واحد لا يمكن لآدم أن يتسامح فيه.. أجره، لقد استحق أجره وهو يريد ماله. وصعد السلم الحجرى نحو الباب، ونظر عبر الزجاج. ولم يشاهد أحداً.. فدخل، ليجد أن تشارلز قد ترك باب غرفة مكتبه مفتوحا.. فتقدم من الباب ودق عليه.

أدخل! أوه.. هذا أنت يا آدم؟

إنها ليلة القبض يا سيدى.

يا إلهى! صحيح! أنا آسف ولكننى نسيت تماماً. لقد حدثت لى مشاغل أخرى.

ومد يده إلى جيبه وأخرج حفنة من النقود الصغيرة، ولكنها لم تكف، فأخرج علبة نقود من الدرج. ولم يكن فيها الكثير، لابد إنهم لا يدفعون جيدا لهؤلاء القساوسة المساكين، ويبدو أن تشارلز عرف ما يجول بخاطر آدم فقال له مبتسما ابتسامة ساحرة:

أنا لا أدفع لك ما يكفى يا آدم.

هذا يكفينى يا سيدى.

أحيانا أفكر ما إذا كنت قد أخذت المهنة الملائمة لى.

لقد وجدت هذا الأعلان فى المهملات يا سيدى.

آه هذا! حسناً لأقل لك الحقيقة يا آدم.. لقد علمت بأمر هذه الوظائف وكتبت لهم. إنهم يريدون من يعمل معهم يريدون كثيراً من الرجال، حتى إننى رغبت، وكدت أذهب إلى هناك. لقد كنت مغرما جداً بأفريقيا.

إنه يبدو مكان جميل يا سيدى. إنهم ينبتون أزهاراً جميلة.

أجل.. أجل.. كنت أحب أن أذهب.. إنه عمل عظيم ولكنهم لا يسمحون بذهاب الزوجات.. ولهذا فالعمل هناك ليس جيداً للمتزوج.

كان تشارلز يعلم أنه محق بأن فيلوميل مخطئة تماما، وكان ينحى باللامة عليها عندما تبكى.. فالجنس أمر بشع.. وها هى فى الحقيقة تبكى الآن فى غرفتها.. وعينا آدم قالتا له هذا، واتهمتاه، وهنا أدرك تشارلز لويس تماما ضعفه، وقوة هذا العجوز العظيم. وأصابته صدمة

قاسية. ها هو يجلس فى مكتبته وأمامه التمثال المقدس الذى أهدته اياه زوجته فى أول عيد ميلاد يمر بهما فى زواجهما وقالت له (كل منا عليه أن يحمل صليبه) وكانت تحاول جهدها أن تبدو شجاعة. لقد أدرك هذا الآن. ولابد إنه تغير ليدرك هذا. وحدق الرجلان ببعضهما.. ولأول مرة أدرك تشارلز لويس ما يجب عليه أن يفعل. وسأل:

أتظن .. أن على السفر يا آدم!

أظن إنهم بحاجة إليك هناك يا سيدى.

ولا يريدنى أحد هنا؟

وبدا صوت تشارلز مريرا. فأجابه آدم بصوت رقيق:

ولا يريدنى أحد هنا؟

وبدا صوت تشارلز مريرا. فأجابه آدم بصوت رقيق:

القرية تحبك يا سيدى.. وأنت قريب من قلوبنا، واحد منا. ولكن هذا ليس كل شئ. فهنالك المزيد يا سيدى، أكثر بكثير. وأنت تعرف هذا.

وصمت الرجل الجالس فوق طاولته، والمحفظة فى يده وأحس بالحياة تتغير. وفى ذلك الصمت رأى بابا ينفتح،

وتذكر بوضوح أن والده قال له يوما: (ليس هناك من عار أن تفعل ما هو صحيح، مهما كان). وهذا صحيح. ليس من العار أبدا ... وقال لآدم:

أتظن أن على أن أرحل؟

ليس على أن أظن يا سيدى.. ولكن .. علينا أن نفعل ما هو صواب يا سيدى، كلنا، الصواب هو المطلوب منا، وأن لا نترك الآخرين يتعذبون بما نفعله.

وتمنى لو أن تشارلز يدفع له ماله ويتركه يذهب، فقد بدأت الأمور تصعب. وقال تشارلز :

أنت تعرف أكثر مما تصرح به.

ولم يرد العجوز فالصمت دائما هو السيد، وطارت بينهما ورقة الدعاية، التى عليها الفتيات الراقصات، والأزهار الجميلة، والخط الساحلى... ومد تشارلز يده ليلتقطها وقال:

كنت أتمنى لو أننى أعلم...

أنت تعلم الآن يا سيدى، وكلنا نعلم ما هو الغلط وما هو الصواب، ولكننا نحب دائما ما نعلمه.

باركك الله يا آدم.

شكرا لك يا سيدى.

وخرج... وبمروره بغرفة الجلوس سمع أصواتاً. وكان عليه أن يقاطعها.. فدق الباب وقالت فيلوميل:

أدخل.

ودخل آدم.. ولم تحاول أن تخفى بكائها عنه ولم يستطع تحمل النظر إلى عينيها، منذ سنوات بعيدة شاهد أديث الحبيبة تبدو هكذا. وذكرى أديث لا زال لديها القوة لأن تؤلمه فقال:

لا بأس عليك يا سيدتى.. أظن القسيس يريد رؤيتك.. أظن..

ثم.. ولأنه لم يعد يجرؤ على قول المزيد.. خرج.. وترك المنزل. وكان الظلام قد حل.

جوان كانت تحضر الشاى، وليديا وبيرتي هناك، ولرعبه تعرف على صوت اديث هارت أيضا. بعض الأحيان كان يؤلمه أن هارى لا يأتى إلى منزله كثيرا. وكان الحديث دائرا، وكانت السيدة هارت تقول:

ليس من الائق ارتداء الأبيض فى زفافك وأنت بهذا

العمر. فالناس سيتكلمون. الفتيات وحدهن يلبسن الأبيض فى زفافهن، وأنت قد تجاوزت هذا السن يا جوان.

أنا كنت دائما أحلم بالأبيض.

وأحس والدها برنة حزن فى صوتها. فدخل وعلق قبعته خلف الباب، وخلع معطفه وسأل السيدة هارت:

والآن ما كل هذا الكلام هنا؟ ماذا تفعلين هنا؟ أريد أن أشرب الشاى وأنا هادئ.

وسألته اديث هارت بسرعه وقد غضبت:

أتريدنى أن أذهب؟

حسنا.. أريد الشاى.

ولكن هل أوقفتها خشونته عند حدها.. ابدا.. وقالت:

هناك كلام سخيف يجرى هنا. جوان تريد ارتداء ثوب أبيض للزفاف. ولكننى أظن أن ثوب خروج يكفى، فالثوب الأبيض سخيف.

جوانى ترتدى ما ترغب به لزواجها.. فهذا اختيارها، وليس اختيارك.

أنت تعنين أنك أنت السخيفة.

وردت عليه بسرعه.

إذا كنت ستكون فظاً معى...

فأسرع ليفتح لها الباب.

لقد انتهى الأمر... أنا أريد شرب الشاى.

وخرجت من الباب بغضب وهى تتمتم لنفسها، ولكن آدم لم يأبه لها.. وأقفل الباب وراءها، إذ يجب أن يعطيها هذه اللطمة القاسية الأضافية التى كان ينوبها منذ زمن، وقالت جوان:

اوه.. أبى!

سوف يعلمها هذا درساً!

ربما تكون على حق.. فالأبيض للفتيات، ولست صغيرة الآن.

واستدار إليها وقال:

الحب هو أجل شئ فى هذه الدنيا. وإذا قبلت نصيحتى ارتدى له أجمل الثياب، أعطيه الأفضل. وسوف يعطيك ما تشائين. فادوارد سيحب أن يراك فى أفضل

حالاتك. بالطبع.

وأخذ فنجان الشاى ورفعه وكأنه يشرب نخبا:

نخب زواج جوان! وليكن حفل زفافها الأجمل فى هذه القرية حتى ولو كلفنى هذا آخر قرش أملكه..

فقال جوان:

اشكرك يا أبى.. لقد اشتريت لك ليديا شيئا، فطيرة لحم بالبيض. الذى تحب.

وهل فعلت هذا؟

وفى منزل القسيس أنفجر، الشجار ثم تلاشى..

وذهب كلاين إلى بيته.. وغداً ستوضب فيلوميل حقائبها. ولن تعلم أبداً ما الذى غير تشارلز. ولا كيف أحست فجأة إنه رجل عظيم. تأثرت كثيراً عندما قال لها إنه سيتخلى عن الحياة الدنيوية، وسيسافر على الفور. وهو سيحررها من التزاماتها الزوجى معه حتى تتابع حياتها. ورجته أن يبقى... ولكنه مد يده وهى ترتجف بحدة:

لا.. لا تفعلى هذا.. لا ترجينى.

وتلاشى الضباب من فوق الحقول، وأخذت النجوم تغمز بعينيها فى كبد السماء. إنها ليلة جميلة.. سوف تكره أن تترك القرية وخاصة أن تفترق عن العجوز آدم العزيز.

ووقفت تحدق فى الحقول والوديان، ثم أحست بالأرتياح يغمرها.. وراودتها فكرة.. فقالت لنفسها:

(لو أن المولود كان صبيا فسأسميه آدم).

www.liilas.com
مرموزية